الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

حملة أحمد منصور السعدي على السودان الغربي وانعكاساتها السياسية و الاقتصادية (1591-1594م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد الطالبة :

حامد فاطمة

اللجنة المناقشة: بوبكر محمد سعيد ..... رائيسا

جعفري أحمد ..... مشرفا

بوقراف جلول ..... مناقشا

زناتي عامر .....مساعد المشرف

الموسم الجامعي :

1436-1437هـ / 2015- 2016 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

حملة أحمد منصور السعدي على السودان الغربي وانعكاساتها السياسية و الاقتصادية (1591–1594م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد الطالبة :

حامد فاطمة

اللجنة المناقشة: بوبكر محمد سعيد ..... رائيسا

جعفري أحمد ..... مشرفا

بوقراف جلول ..... مناقشا

زناتي عامر .....مساعد المشرف

الموسم الجامعي :

1436–1437هـ / 2015– 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء .....ح

شكروعرفان.....ه

قائمة المختصرات.....ي

المقدمة.....ل-ع

الفصل الأول :الأوضاع السياسية في بلاد السودان الغربي والمغرب

1-الحدود الجغرافية والأوضاع السياسية بالسودان الغربي.....18

1-1 التعريف بمنطقة السودان الغربي.....20-18

1-2 السودان الغربي قبل قيام سنغاي.....23-20

1-3السودان الغربي في ظل حكم سنغاي.....26-23

2-الدولة السعدية وأحمد المنصور الذهبي.....26

2-1المغرب في عهد الدولة السعدية.....29-26

2-2 أحمد المنصور واعتلائه الحكم.....32-29

3-علاقات المغرب مع بلاد السودان الغربي قبيل الحملة.....34-32

3-1السلع المتبادلة بين المغرب والسودان الغربي.....38-34

الفصل الثاني : حملة أحمد المنصور على السودان الغربي

1-الأطماع المغربية الأولى في بلاد السودان.....40-39

1-1 دوافع حملة المنصور على السودان الغربي.....41

1-1-1الدافع الديني 41

1-1-2الدافع الاقتصادي.....42-44

2-الاستعداد للحملة.....46

1-2 الشورى.....46-49

2-2الجيش المغربي في عهد السعدي.....49-54

1-2-2الأندلسيين ومشاركتهم في جيش السودان.....54-55

3-الحملة المغربية على السودان الغربي.....55

1-3أحمد المنصور وأطماعه في الصحراء والسودان.....55-57

2-3الحملة الأولى.....57

1-2-3سير الحملة.....57-59

2-2-3معركة تنديبي.....60-65

3-3الحملة الثانية.....65-68

1-3-3موقف السوداني من الحملة المغربية.....68-71

الفصل الثالث : الانعكاسات السياسية والاقتصادية لحملة المنصور على السودان

1-الانعكاسات السياسية لحملة المنصور.....73

1-1حكم الباشوات المغاربة بالسودان.....73-77

1-2ثورة تنبكتو.....77-80

2-الادارة المغربية بالسودان الغربي.....80

2-2الجيش 80-82

2-3القضاء.....82-84

2-4أزمة آل قيت.....84-88

3-الانعكاسات الاقتصادية لحملة المنصور على السودان 88

3-1التجارة.....88-92

3-2الزراعة.....92-94

3-3الصناعة.....94-99

الخاتمة.....101-102

الاهداء

الى من ربياني صغيرا ، وتحملا شكواي وتذمري طيلة فترة البحث والديا أطال الله في عمرهم

الى أخوتي الأعزاء: رضا ،وليد وعبد الحق وزين الدين

أخواتي العزيزات : فاتن وخيرة وخلود وسيرين

الى من ملأت البيت فرحة وبهجة وسرور وحب الجميلة شيراز

الى صديقاتي ورفيقات الطفولة :خيرة ورباب وسميرة وسارة وأمينة

الى الصديقة العزيزة التي تحملتني في كل الاوقات عائشة

الى كل اقرابي وعائلتي وكل الذين وسعهم قلبي ولم يذكرهم قلمي اهدي هذا العمل

شكر و عرفان

بعد أن وفقني الله سبحانه وتعالى باءتمام مذكرتي ،لا يسعني سوى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساعدني من قريب أو بعيد ،وأخص بالشكر الأستاذ المشرف جعفري أحمد الذي أمدني بالعديد من النصائح والتوجيهات البناءة التي ساهمت بشكل كبير في انجاز موضوعي .

كما أشكر الأستاذ زناتي عامر الذي ساعدني في موضوعي وكل أساتذة الذين درسوني بجامعة غرداية .

كما أخص بشكر كل شخص ساهم ولوا بكلمة في انجاز موضوعي .

قائمة المختصرات الواردة في الدراسة :

القسم العربي :

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات متلاحقة
ج	جزء
ط	طبعة
ع	عدد
تر	ترجمة
تح	تحقيق
د ، ت	دون تاريخ
د ، ب	دون بلد
د ، د	دون دار النشر
د، ر ، تع	دراسة وتعليق
هـ	الهجري
م	الميلادي

القسم الأجنبي :

Page	p

المقدمة

المقدمة

شهدت بلاد السودان الغربي خلال الفترة الانتقالية من الوسيط الى الفترة الحديثة قيام مجموعة من الممالك الاسلامية رسمت المشهد السياسي للمنطقة خاصة نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ولعل من أبرز هذه الممالك مملكة سنغاي و ما عرفته من تقدم ثقافي وازدهار اقتصادي حمل عنوان هذا الأخير وفرة المعادن خاصة الذهب والذي كان مطمعا لمختلف القوى الاقليمية والعالمية منها الدولة السعدية في عهد المنصور أحمد والذي لقب بالذهبي نظير أطماعة الاقتصادية في ذهب السودان ومنه اخترت موضوع حملة أحمد منصور السعدي على السودان الغربي وانعكاساتها السياسية والاقتصادية عنوانا لمذكرتي والاطار الزماني والمكاني المجال الجغرافي للدراسة يشغل منطقة بلاد السودان الممتدة من نهر السنغال غربا الى نهر النيجر شرقا ومن الصحراء الكبرى شمالا الى الغابات الاستوائية جنوبا أما زمانيا فتشغل الفترة الممتدة 1591مبداية الحملة الأولى للمنصور على بلاد السودان الى غاية1594م والتي تمثل نهاية السلطة الفعلية للأساكي واستتباب السيطرة المغربية على مملكة سنغاي.

ولتناول هذا الموضوع قمت بطرح اشكالية رئيسية :

ما لدوافع الموضوعية والفعلية التي كانت وراء حملة أحمد المنصور على بلاد السودان وما النتائج السياسية والاقتصادية المترتبة عن الحملة؟

تندرج تحتها مجموعة من التساؤلات الفرعية جاءت على النحو التالي:

كيف استعد المنصور لحملته على السودان ؟ ما لعراقيل التي وقفت في وجهه؟ ماهي أبرز المعارك ؟ ماهي الطريق التي سلكتها الحملة ؟ ماهي المراحل التي مرت بها الحملة ؟

ما هو موقف السودانيين من حملة السعديين على مختلف طبقاتهم و انتمائيتهم؟

أين يبرز تأثير المغاربة في الجوانب السياسية والاقتصادية لبلاد السودان بعد حملة المنصور؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأيت أن أقسم موضوعي الى ثلاث فصول :

في الفصل الأول تحت عنوان : الأوضاع السياسية في السودان والمغرب وتناولت فيه التعريف بمنطقة السودان الغربي وذكر بعض الممالك التي قامت بالمنطقة منها غانا ومالي التي لم تستمرا حتى سقطت هاتين المملكتين وحلت مكانهم مملكة سنغاي التي تعتبر من أهم الممالك التي قامت بالمنطقة بسبب الرقعة الجغرافية التي خضعت لها كما كان لمواردها واقتصادها دور كبير في شهرتها وملوكها الاقوياء الذين عملوا على نشر الاسلام وتطبيق أحكامه في مختلف مناطق السودان الغربي ،كما ذكرنا نشأة الدولة السعدية وما قيل عن نسبهم الشريف وأهم ملوكهم ودورهم في تحويل هذه الدولة الناشئة الى دولة قوية تبحث عن مناطق نفوذ، وبعدها عرجنا على ابرز الطرق التجارية التي يسلكها التجار للوصول الى مناطق السودان الغربي المختلفة والمنتوجات المتبادلة بين الطرفين .

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان :الحملة المغربية على السودان الغربي وتطرقت فيه الى دوافع الحملة المختلفة وخاصة الاقتصادية الذي يمكن اعتباره السبب الرئيسي للحملة ومشورة المنصور لديوانه في أمر الحملة واستعداداته المختلفة لاسيما الجيش وتركيبته المختلفة وتسليحه ثم مسير الحملة الذي أخذ طريق مغاير غير معهود ووصولهم للسودان وحصول معركة تنديبي وعزل قائد الحملة بسبب قلة العائدات واصطدامهم بواقع المنطقة ورفض السلطان لأمر الصلح وتعيين قائد جديد وعمله على القضاء على المقاومة بالمنطقة وبعثه ببعض الأموال للمغرب وموقف السودانيين من الحملة .

ويبرز الفصل الأخير: الانعكاسات السياسية والاقتصادية وبه ذكرت حكم باشوات المغرب في السودان وإبراز دورهم بالمنطقة وأعمالهم كما تعرضت الى الإدارة بالسودان والتأثيرات الذي أدخله المغاربة على هذا القطاع من جيش وقضاء وبعدها أزمة التي تعرض اليها العلماء والمعروفة بأزمة ال اقيت ثم عرضت الانعكاسات الاقتصادية التي شهدتها منطقة السودان من ادخال منتوجات جديدة من قمح وارز وقطن لم تعرفها المنطقة من قبل وادخال صناعات وتنظيم الأسواق لتنشيط التجارة والحفاظ على الطرق والعمل على تأمينها لضمان زيادة اعداد التجار .

وأخيرا خاتمة استخلصت فيها نتائج موضوعي

ويعود اختياري لهذا الموضوع لعدة دوافع منها :

- ندرة الدراسات العلمية والأكاديمية التي تناولت الموضوع .

- توجه أغلب الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة الى تناول دراسات اقليمية مغاربية وعربية مقابل ذلك قلة الأبحاث والدراسات ذات البعد القاري والافريقي .

- بالرغم من الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة للمنطقة سواء كانت بأقلام عربية أو غربية يبقى جزءا هاما من التاريخ الافريقي هملا دون دراسة.

-القاء الضوء على تاريخ المنطقة والذي عزف عن الكتابة فيه العديد من الباحثين والمؤرخين بسبب قلة المصادر التي تتناول الموضوع

- ابراز التواصل الذي تم بين الشمال الافريقي وجنوب الصحراء والعلاقات السياسية والاقتصادية التي جمعت بينهم

- ابراز البعد الافريقي للبلدان المغاربية من خلال تأثير حملة المنصور على بلاد السودان .

- رغبتي في ابراز التأثير الجزائري في السودان الغربي من خلال شخصية المغيلي دفعني للتوجه الى دراسة تاريخية سياسية ذات تأثير أخر ولفترة زمنية أقرب للحديث منها الى الوسيط فكان وقوعي على حملة المنصور على بلاد السودان الغربي .

وقد اتبعت خلال دراستي للموضوع على المنهج التاريخي الذي يتناول الحدث التاريخي ويتبع بالوصف بمختلف مراحله .

و تكمن أهمية الموضوع في ابراز الصلات وتوثيق الاتصالات العربية الافريقية خاصة بين المغرب وسنغاي والتعمق فيها، وتسليط الضوء على منطقة السودان الغربي وممالكه وعلى وجه الخصوص مملكة سنغاي وتطورها بحيث قامت في ظل رعاية سلاطينها الأساكيا نهضة على جميع الأصعدة، وبداية حقبة جديدة في منطقة السودان الغربي وهي حكم السعديين وهذا بعد الانهيار الذي شهدته مملكة سنغاي من ركود السياسي نتيجة لصراعات الأساكيا على الحكم فمهد هذا الأخير لقيام المنصور السعدي بحملته عليها

واعتمدنا في دراستنا للموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع ودراسات سابقة منها : السودانية أهمها كتاب محمود كعت تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار والذي كان أحد مستشاري الأسكيا محمد وكتب عن أساكيا السودان والحملة المغربية عن سنغاي الا ان تأليفه عنها لم يشمل فترة حكم المغاربة كاملة انما اقتصر على فترة فقط .

وكتاب عبدالرحمان السعدي تاريخ السودان والذي يعد من أهم المصادر السودانية والذي استفدت منه في ذكر حكام سنغاي وسير الحملة وأعمال الباشوات المغاربة بالمنطقة الا أن بعض المصطلحات التي استخدمها صعبة .

أما المصادر المغربية منها مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفاء للفشتالي والكاتب هو أحد مستشاري المنصور وأرخ للحملة المغربية الا أنه اعتبر منحاز بسبب اعتباره الحملة عمل جهادي .

وكتاب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمؤلفه محمد الصغير الافراني الذي كتب عن تاريخ الدولة السعدية واستفدت منه في ذكر وقائع عن الحملة وتولية جوذر باشا ثم محمود زرقون وعن الازمة التي تعرض لها أسرة ال أقيت الا أنه أوقف مؤلفه عند هذا الحد ولم يكمل بقية الاحداث التي حدثت بالمنطقة .

وكتاب تاريخ الدولة السعدية التكدمارتية والذي استفدت منه في ذكر الأعمال التخريبية التي قام بها الباشوات في السودان لذا في نظره الحملة عملية تخريبية .

وبعض المصادر الأخرى التي ساعدتني في تحديد المنطقة جغرافيا للسودان الغربي مثل : كتاب وصف افريقيا لحسن الوزان وافريقيا لمارمول كاربخال وابن حوقل وكتابه صورة الأرض و ابن بطوطة ورحلته الشهيرة .

أما المراجع المهمة التي استخدمتها منها كتاب عبد القادر زبادية وكتابه مملكة سنغاي في عهد الأسقيين وفيه تناول المؤلف التعريف بالمنطقة والحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في

عهد الأسقيين والحملة المغربية وطرق التجارية والمبادلات بين السودان والشمال الافريقي الا أن الكتاب لم يتطرق الى كل النقاط التي شهدتها المنطقة بعد الحملة وانما اكتفى بها فقط .

وكتاب محمد الغربي بداية الحكم المغربي في السودان الغربي والذي أمدنا بالعديد من المعلومات عن الحملة وسيرها والاستعداد لها والباشوات الذين تناوبوا على حكم السودان وعن الانعكاسات السياسية والاقتصادية والثقافية الا أنه اكتفى بالتطرق الى بعض الباشوات ولم يذكرهم كلهم .

ومن بين الدراسات السابقة التي أفادتني في موضوعي مذكرة ماجيستير في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر من انجاز الحواس الغربي تحت عنوان السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591-1660)المناقشة بجامعة بن يوسف بن خدة بجامعة الجزائر وتحت اشراف: صابر شريف خالد وبها ذكر الباحث الحملة المغربية من ارهاصاتها الاولى الى غاية السيطرة على المنطقة وأهم المقاومات التي شهدتها المنطقة الا أن تناولت الانعكاسات بطريقة مختصرة وفي شكل نقاط .

والدراسة الثانية للباحث محمد الفاجالو بعنوان: الحياة العلمية في دولة صنغاي(842-1000هـ/1464-1591م) وهي رسالة ماجيستير مقدمة في الحضارة والنظم الاسلامية بجامعة ام القرى السعودية وأشرف عليها :ابراهيم نجيب عوض واستفدت منها في أزمة التي تعرض لها العماء بتنبكتو و الانعكاسات السياسية والاقتصادية للحملة بالرغم من اختصارها من قبل الباحث .

ومن بين الصعوبات التي اعترضتني في موضوعي :

أن أغلبية الكتب والمراجع التي تتناول الموضوع هي مغربية مما يجعل الموضوع منحصر من وجهة نظر واحدة تفتقد بعض الأحيان للمصداقية وتتسم بالمبالغة والتعظيم في أحيان أخرى ،ندرة المصادر والمراجع المتخصصة في الموضوع صعبت علي الالمام بكل جوانب الموضوع السياسية والاقتصادية ، كما تم تناول الموضوع بطريقة مختصرة وفي شكل نقاط دون التعرض للتفصيل في العديد من المؤلفات مما صعب علينا الاعتماد عليها ، اضافة الى عدم تعرض الكتاب الى الانعكاسات السياسية والاقتصادية للحملة في معظم مؤلفاتهم ،صعوبة الحصول على بعض المراجع .

الفصل الأول

الأوضاع السياسية لبلاد السودان و المغرب

1- الحدود الجغرافية والأوضاع السياسية للسودان :

1-1التعريف بمنطقة السودان الغربي:

العرب أول من اطلق كلمة "السودان" على الشعوب التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى ،وسموا بلادهم "بلاد السودان" واللفظة جاءت من لون بشرة سكان المنطقة[1] ، والسودان صيغة جمع أسود والمقصود الرجال ذوي البشرة السوداء وعلى نفس الوزن استخدم العرب كلمة البيضان أي الرجال ذوي البشرة البيضاء .

وبلاد السودان اسم أو مصطلح يقصد به كل الأقاليم شبه الصحراوية في افريقيا شمال نطاق الغابات الاستوائية والواقعة جنوب الصحراء الكبرى [2].

وحدد بعض المؤرخين المنطقة جغرافيا فأطلق البكري كلمة السودان على المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا الى النيل شرقا واعتبر سجلماسة [3]مدخلا لبلاد السودان[4].

أما ابن حوقل فحدد المنطقة بقوله :"وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فاءن بلدهم الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ، ليس بينه وبين شيء من ممالك اتصال ، غير أن حدا له ينتهي الى البحر المحيط وحدا ينتهي الى البرية بينه وبين أرض المغرب ،وحدا له ينتهي الى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات" [5].

---

[1] -عبدالقادر زبادية :مملكة سنغاي في عهد الاسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1971 ،ص15.

[2] -نبيلة حسن :في تاريخ الحضارة الاسلامية ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ، د، ب ،ص 196.

[3] –سجلماسة: مدينة قديمة بناها أحد ضباط الرومان وسماها سجلو ماسة وتعني خاتم النصر للمزيد أنظر مارمول كاربخال : افريقيا ، تر:محمد حجي ومحمد الاخضرواخرون،ج3،دار المعرفة للنشر بالمغرب،1989،ص153.

[4] –أبي عبيد البكري: المسالك والممالك، تح:أدريان فان ليوفن ،أندري فيري،ج2،الدار العربية للكتاب ،1992،ص837.

[5] -أبي القاسم ابن حوقل النصيبي :صورة الأرض ،منشورات دار مكتبة الحياة ،لبنان،1992،ص24.

وذكر القلقشندي: " أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ، ومن الشرق بحر القلزم [1]مما يقابل اليمن والامكنة المجهولة ،ومن الشمال البراري من مصر وبرقة وبلاد المغرب من الجنوب الى البحر المحيط [2]".

أما ابن بطوطة فاعتبر ان مالي أكبر ممالك بلاد السودان وسلطانها أعظم السلاطين ومنها ينحدرون الى بلاد النوبة [3].

وحدد حسن الوزان بقوله :"تقع بين ضفتي النيجر وروافده ، وتقع بين قفرين عظمين يبتدئ أحدهما عند نوميديا وينتهي في هذه البلاد والاخر في الجنوب يمتد الى البحر المحيط" [4].

وكاربخال عرفها بقوله: السودان يقع على طول نهر النيجر من المحيط الى مصر يوجد بين خط الاستواء ومدار السلطان وهو في نفس الوضعية التي توجد عليها بلاد المغرب [5].

وتنقسم بلاد السودان الى ثلاثة أقسام حسب تقسيم عبد القادر زبادية وهي :

1-السودان الغربي :وهو يشمل حوض السنغال و غمبيا وبوركينا فاسو والنيجر الأوسط .

2-السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد .

3-السودان الشرقي: وهو يشمل مناطق النيل وروافده، جنوب بلاد النوبة [6].

---

[1] -بحر القلزم :البحر الأحمر ،أبي العباس أحمد القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ج5،المطبعة الأميرية ،مصر ،1915،ص273.

[2] - نفسه،ص273.

[3] -شمس الدين أبي عبد الله اللواتي الطنجي :تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ،تح: عبدالهادي التازي ،أكاديمية المملكة المغربية ،المغرب 1997،ص251.أنظر الملحق رقم 01ص105.

[4] -حسن بن محمد الوزان الفاسي :وصف افريقيا ،تر: محمد حجي، محمد الاخضر،ج2 ،دار الغرب الاسلامي ،لبنان،1983،ط2،ص161.

[5] -مارمول كاربخال :المصدرالسابق ، ص ص197-198.

[6] -عبد القادر زبادية :الحضارة العربية والتأثير الاوروبي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء ،المؤسسة الوطنية ،الجزائر ،1988،ص11.

فانطلاقا من هذا الحصر الجغرافي نجد أن غرب افريقيا حاليا و بلاد السودان سالفا ،هي المنطقة التي تطل غربا على المحيط الأطلسي، وجنوبا على الغابات الاستوائية و تحدها الصحراء الكبرى شمالا، ومن الشرق تتاخم بحيرة تشاد ، فهي تشمل المنطقة التي تعرف اليوم بحوض السنغال وغمبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط [1].

أما فلكيا تقع أراضي غرب افريقيا بين خطي عرض4و16شمال خط الاستواء في الجنوب وخط طول 13شرقاو17غرب خط غرينتش[2] .

2-1 السودان الغربي قبل قيام سنغاي :

تعاقب على منطقة السودان الغربي امبراطوريات وممالك وأولها غانة الوثنية وتعد أول امبراطورية بالسودان الغربي [3]،وكلمة غانا هي عبارة عن لقب كان يطلق على الحاكم ثم توسع ليشمل مقره ثم أصبح يطلق على كل البلاد و تأسست هذه الامبراطورية على يد جماعة من البيض على الأغلب ثم حكمت بعدهم أسرة من السود في القرن الثامن [4]، شملت المملكة جنوب موريتانيا وشرقي السنغال وجزء من مالي وربما غينيا ايضا ،قامت خلال القرن الثالث ميلادي حتى القرن الثالث عشر ميلادي واشتهرت بالذهب[5]،وكانت جميع مناجم الذهب بيد الملك وباستطاعة الأهالي أن يأخذوا التبر (تراب الذهب) فقط، ولغانا جيش قوامه مائتي الف محارب أربعون ألفا منهم مسلحون بالأقواس والسهام ،

[1] -الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر ،الدار المصرية اللبنانية ،مصر،1999،ص 19.

[2] -محمد فاضل علي باري ،سعيد ابراهيم كريدية :المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة ،دار الكتب العلمية ،لبنان ،2007،ط1،ص 19.

[3] -الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق،ص21.

[4] -دنيس يولم :الحضارات الافريقية، تر: علي شاهين ،منشورات دار مكتبة الحياة ،لبنان ،1984،ص48.

[5] -عبد القادر زبادية ،الحضارة العربية والتأثيرالاوروبي،ص12.

وكانت الخيول ضئيلة [1]، وعرفت عاصمة الدولة بكومبي صالح الى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت وتبتعد عنها بحوالي خمسمائة كلم [2]، أما والي العهد هو ابن أخت الملك ،والملك كان يتزين بالعقود والأساور وكان الذهب في أسلحته وخيوله وحتى كلابه وعندما يموت الملك يدفن في غرفة تحت الأرض مع بعض الخدم والطعام وأسلحته وحتى زينته ويغطى بكومة من الحجارة .

سيطرت غانا على السودان الغربي بأكمله ،ولكنها سقطت بعد قرن تحت ضربات المرابطين بعد أن قاومتهم مدة خمس عشرة سنة 1051الى1076م والذين عملوا على نشر الاسلام في المنطقة[3].

بعد اضمحلال غانة ظهرت امبراطورية مالي أو كما ذكرها السعدي "ملي" وهي اقليم واسع [4]،وكانت تمتد فيما بين البورنو[5] في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب وجبال البربر في الشمال والغابات في الجنوب وشملت من الدول الحديثة أجزاء من موريتانيا و السنغال و غامبيا ومالي والساحل العاج وليبيريا وسيراليون [6].

ويعود تأسيسها الى سندييانا وسميت عاصمتها بتكرور نسبة الى شعب التكرور ويعد المنسى[7] موسى أشهر ملوكها في القرن الرابع عشر والذي عمل على توسيع نفوذ مملكته ونشر الاسلام بها وأخذت رحلته للحج حيزا كبيرا من الشهرة [8]،وبلغت البلاد في عهده الذروة فاستولت قواته على معظم

---

[1] -مادهو بانيكار: الوثنية والاسلام تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا ،تر:أحمد فؤاد بلبع ، المجلس الأعلى للثقافة ،مصر،1998،ص77.

[2] – الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق ،ص 27.

[3] - دنيس يوليم : المرجع السابق ، ص 49.

[4] -عبد الرحمن السعدي :تاريخ السودان ،تح: حماه الله ولد السالم ،دار الكتب العلمية ،لبنان،2012،ص80.

[5] - بورنو: اقليم كبير بعيد بنحو خمسمائة ميل شرقي النيجر، يضم عدو شعوب يسكنون القرى ويعيشون على الفلاحة، للمزيد انظر حسن الوزان ،ص175.

[6] –نافذ أيوب بيلتو ،محمود شاكر :مالي ،المكتب الاسلامي ،لبنان ،1986،ص37.

[7] -المنسى :في لغة الماندنجو تعني الامبراطور ،للمزيد أنظر فيصل محمد موسى ،ص55.

[8] -فيصل محمد موسى :تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة ،د.ب،1997،ص55.

الحواضر مثل غاو[1] وتنبكتو[2] وسيطر على مناجم الملح الا انه توفي في 738هـ/1337م بعد حكم دام خمس وعشرين سنة ،كانت ولاية العهد في مالي لا تقتصر على أبناء الملك بل حتى الاخوة وقد يولى الحكم أبناء الأخت أو بنات البنت وهذا على ما هو معهود عند الأفارقة [3].

قسمت مالي الى مقاطعات وولي عليها أفراد من العائلة المالكة وجعل الحكم فيها وراثيا واتبع ملوكها سياسة الصداقة والمصاهرة مع زعماء القبائل في مملكتهم لضمان تبعيتهم لها ، اما اقتصاديا فشجع الحكام زراعة القطن ونظموا الجباية الضرائب على الواردات والصادرات والادارة اعتمدت على رؤساء القبائل وجيشهم كان من أقوى الجيوش في غرب افريقيا كلها ففتح مناطق واسعة في الغرب حتى المحيط الأطلسي [4] .

ظلت مملكة مالي قوية حتى 1400م حيث بدأت تظهر المشاكل عبر استيلاء على بعض المناطق الهامة وخروجها من سيطرة المملكة مثل تنبكتو وغاو وهجوم قبائل الموسي [5] من الجنوب على المملكة مما أدى الى تدهورها [6]،كما انغمس الحكام في الترف والشهوات الأمر الذي شغلهم عن الاهتمام بشؤون المملكة بأن استقل عدد من الاقاليم عنها وتقلصت حدودها وخرجت أيضا بعض

[1] –غاو: مدينة تقع الى الشمال من باماكو عاصمة مالي توسعت بفضل موقعها ،كانت خاضعة لسيطرة مالي وبنى بها المنسى موسى مسجدا اثر عودته من الحج 1325م ، ثم في عهد سنغاي أصبحت العاصمة السياسية مركزا تجاريا هاما ، للمزيد أنظر: عبدالله سالم محمد بازينة :انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة 7أكتوبر،ليبيا 2010،ص146.

[2] – تنبكتو: مدينة تأسست 1080م على يد الطوارق تقع حول نهر النيجر و أصل تسميتها هو بكتو وهي امرأة عجوز تقطن المنطقة و تين ومعناها المكان أي مكان بكتو ،وتم بناء المدينة لتخزين الغذاء والماء في فترة الجفاف للمزيد أنظر السعدي :تاريخ السودان ص122.

[3] -الهادي المبروك الدالي :المرجع السابق ،ص63،66.

[4] –عبد القادر زبادية: التاثير...،ص ص 17،18.

[5] - الموسي : قبائل يشكلون دولتين عاصمة الأولى أواغا دوغو وأوهيغوبيا ويقوم على رأس كل دولة حاكم طاغ يدعى موغور نايا يفرض على أتباعه احتراما دينيا معينا ، للمزيد أنظر : دنيس يوليم : المرجع السابق ،ص 125.

[6] -Basil Davidson : a history of West africa 1000-1800,Longman, Nigeria, 1965, p53

المناجم الهامة والتي تمثل ثقلا اقتصاديا من أيدي الحكومة [1]،واستمرت الاضطرابات حيث تنافس على العرش أفراد الاسرة الحاكمة مما زاد من مشاكل المملكة الامر الذي عجل من سقوط هذه الامبراطورية [2].

3-1 السودان الغربي في ظل حكم سنغاي :

تمثل سنغاي ثالث أكبر تنظيم سياسي شهدته منطقة السودان الغربي حيث كانت بداية أمرها عبارة عن مملكة صغيرة تابعة لمملكة مالي قبل أن تستقل عنها على يد أحد الزعماء ووصلت في وقت قصير من مملكة صغيرة الى امبراطورية مترامية الأطراف [3] ،أسس هذه المملكة شعب صنغاي الذي نسب لقبيلة زنجية عرفت بهذا الاسم قامت على الامارة بداية في اقليم داندي[4] الذي يقع على نهر النيجر [5]،يعود تكوين سنغاي الى القرن الأول الهجري السابع الميلادي حيث قدم مغاربة صنهاجة الى شرق النيجر وأسسوا مملكة بيضاء حول مدينة كوكيا [6]،وكان مؤسسها يدعى ضياء ابن قيس أما

[1] -الهادي المبروك الدالي :المرجع السابق ،ص84.أنظر الملحق 2و3ص ص106،105.

[2] -عبد القادر زبادية : التأثير ...،ص19.

[3] -عبد الله عيسى :أثر الاسلام على المجتمع الافريقي خلال القرن 10هـ/16ممملكة سنغاي نموذجا،مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث والدراسات،العدد36 ،2015،ص28.

[4] -داندي : تقع الى الجنوب الغربي من غاو ، وكانت قصبتها مدينة جوجيا ، للمزيد أنظر : الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق ، ص116.

[5] –حسين سيد عبد الله :مملكة سنغاي ،مجلة قراءات افريقية،العدد2012،13،ص13.

[6] -كوكيا :ظهرت هذه القرية في عهد غانا ، وازدهرت لوقوعها في طريق المواصلات الصحراوية والنهرية ، اتخذتها سنغاي عاصمة لها في البداية ثم أخذت غاو مكانتها وعند وصول المغاربة استخدموا مينائها الصغير كقاعدة لتحركاتهم نحو الجنوب ،للمزيد أنظر : محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ،1982.

اعتناقهم للإسلام مر بمراحل فأسلم السكان على أيدي التجار المسلمين أو المهاجرين ويرجع الفضل الكبير الى المرابطين في نشر الاسلام بالمنطقة [1].

يعتبر سني علي بن سليمان دام المؤسس الفعلي للملكة و ينسب الى أسرة ضياء التي نزحت من طرابلس الغرب واستقرت بالمنطقة تولى الحكم 869هـ1464م عقب وفاة والده فكانت أول أعماله التخلص من خصومه ثم قام بالانفصال عن ملكة مالي[2]،واستعاد تمبكتو 1468 من الطوارق[3] وأسس عدد من الاقاليم وأسند زعماتها الى ملوك يحملون لقب قاري اتارسا[4] ، تخلى سني علي عن السياسة التي أنتهجها اسلافه فقام بفتوحات اقليمية وجند لهذا الغرض جيشا مدربا على الحرب ومنظما تنظيما محكما بقيادة أهم قادته، وأعد اسطولا صغيرا على النيجر وحشد جيشا من المشاة يزداد عدد افرداه نتيجة لانضمام المحاربين من الجيوش المهزومة ،كما جهز فرقة من الفرسان كانت بفضل خفة وسرعة تحركها تعتبر سبب قوته في كل حروبه ،وطول فترة حكمه كان يجوب على رأس فرسانه المناطق المجاورة للنيجر وأدهش خصومه بمفاجأته لهم بسرعة تحركه وفرضه سلطانه بالعنف والخوف واشتهر بأنه المحارب الذي لا يقهر[5] ،وجد سني علي صعوبات كبيرة مع المسلمين وبالخصوص في تنبكتو حيث وصفه علمائها بأنه دكتاتوري ودموي الا أنه حاليا أنصفه العديد عبر

[1] –أسماء أحمد الأحمر :الدين والدولة في مملكة سنغاي الاسلامية869-1000هـ/1464-1591،دار الكتب الوطنية ،ليبيا ،2008،ص59.

[2] –الهادي مبروك الدالي ،المرجع السابق ،ص ص98-99.

[3] -الطوارق :وهم من قبيلة مسوفة ينسبون الى صنهاجة ويرفعون نسبهم الى حمير للمزيد أنظر السعدي :تاريخ السودان ،ص135.

[4] –عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الاسلام ،منشورات جامعة قاريونس،ليبيا،1998،ص ص 303.

[5] -سينيكي مودي سيسوكو: الصنغي من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر ،تاريخ افريقيا العام ،ج4،المطبعة الكاثوليكية ،لبنان،1988،ص 203.

اظهار مكانته الحقيقية وهذا عبر ارجاع تصرفاته التي اعتبرها البعض ضدهم الى تربيته عند أخواله وهم غير مسلمين وبهذا كان يفضل تقاليد سنغاي على العلماء [1].

كما شجع الزراعة وبنى السدود بوادي النهر فنهض بالاقتصاد أما وفاته فيقال بأنه أثناء عودته من احدى الغزوات داهمه سيل جارف فأهلكه وخلفه ابنه أبوبكر الذي رفضه العلماء لضعفه فاختاروا بدلا منه وزيره محمد توري[2] .

وينسب محمد توري الى قبيلة صنهاجة سكنت جنوب موريتانيا هاجرت أسرته واستقرت بمنطقة نهر النيجر وامتزجت بقبائل سنغاي كان في فترة حكم سني علي أحد ضباط جيشه ،وفي 1465 اعتلى العرش اثر ثورة قام بها ضد أبي بكر ولقب نفسه بالاسكيا[3] فعرف باسم الاسكيا محمد[4].

كانت أول أعمال الاسكيا محمد لتنظيم دولته اعادة بناء جيش قوي لاعتماده في حالتي السلم والحرب ،وعمل على ادخل فرق جديدة مثل قبيلة الطوارق التي جعلها في سلاح المشاة ،وأنشأ أسطولا من سفن التموين واستحدث ادارة لجباية الضرائب في غاو وأنشأ الدواوين العسكرية والسياسية والادارية وحدد اختصاصاتها ثم أقام حكومات اقليمية ونصب القضاة وعين الشرطة ،ونظم البلاد وألغى الطريقة القديمة في توكيل رؤساء القبائل[5] .

عزم الأسكيا على تأدية فريضة الحج سنة 902،903هـ/1496،1497م فعهد لأخيه عمر كمزاغ بتولي أمور الدولة ومنحه جميع الصلاحيات في ادارة شؤون البلاد الى جانب عمله كنائب له

1-D-T NIANE: HISTOIRE GENERALE DE L AFRIQUE, UNESCO, FRANCE, 1987, P219.

[2] -عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق ،ص 304.

[3] -الاسكيا: و معناها ليس هو وهو ما قالته احدى بنات سني علي حين استولى محمد توري على الحكم للمزيد أنظر عطيه مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق افريقيا ،ص306.

[4] -لعماري مرزقلال :الحياة الثقافية الاسلامية في مملكة سنغاي على عهد الاسكيين 899-1000هـ/1493-1591،مذكرة ماجيستير في تاريخ افريقيا حديث ومعاصر، اشراف محمد حوتيه ،جامعة الجزائر ،2009-2010،ص ص 17-18.

[5] -الهادي المبروك الدالي :المرجع السابق ، ص ص 114،115.

في أقاليم الغرب، أخذ الاسكيا في رحلته ما قدر بثلاثمائة ألف مثقال من الذهب الخام فسلك نحو الحجاز مرورا بليبيا ومصر وصولا للأراضي المقدسة التي اشترى بها بساتين وجعلها وقفا على أهل السودان[1]، والتقى في أثناء حجه بمكة الشريف الحسني مولاي العباس وتحادثا فمنحه في يوم الجمعة بمسجد مكة لقب الخليفة حيث أجلسه ووضع على رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء و أعطاه سيفا ثم أشهد الجماعة الحاضرين أنه خليفة بأرض التكرور وان كل من خالفه في تلك الأرض فقد خالف الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم [2].

وحين عودته عمل على تثبيت ركائز الدين الاسلامي حتى اتفق جميع العلماء عصره على أنه خليفة[3]،كرس الاسكيا محمد معظم وقته لإقامة المدارس وعزز الصداقة بين مملكته ودول شمال افريقيا مما شجع على تد فق العلماء الى بلاده امثال عبد الكريم المغيلي واشراكهم في تعميم الثقافة الاسلامية في المنطقة، و اشتهرت في عهده مدن ومراكز ثقافية كتنبكتو وجيني [4]وكاتسينا[5] وكانو [6]وصوكتو ووصلت البلاد في عهده الى أقصى اتساعها [7].

في أواخر عهد الاسكيا محمد تأمر عليه اسكيا موسى وعزله بسبب كبره في سنة 1528م وفرضت عليه اقامة جبرية حتى توفي 1528م ولكن أسكيا موسى لم يحظ بتأييد أفراد أسرته ونازعوه الحكم

[1] -أسماء أحمد احمر :المرجع السابق ،ص 83،85.

[2] –محمود كعت التنبكتي :المختار من تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، د، ر، تع: عبد النعيم ضيفي عثمان ،دار العلوم للنشر والتوزيع ، مصر ، 2005، ص25

[3] –محمود كعت :تاريخ الفتاش في ذكر ملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس ،تح: حماه الله ولد السالم ،دار الكتب العلمية،لبنان،2012،ط1،ص48.

[4] –جيني :مدينة الى الجنوب الغربي من تنبكتو تبعد عنها 600متر تأسست سنة 1100–1101 للمزيد انظر: عبدالله سالم :المرجع السابق،ص144.

[5] –كاتسينا: تقع شرق اقليم كانو تتألف من مناطق جبلية وسهول اشتهرت بالزراعة للمزيد أنظر كاربخال :المصدر السالق،ص207.

[6] –كانو:اقليم شاسع يتاخم نهر النيجر واقليم اكدر غربا للمزيد أنظر كاربخال :المصدر السابق،ص208.

[7] -عثمان برايما باري: جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي ،دار الأمين للطباعة والنشر ،مصر،2000،ص ص 46،47.

ومات مقتولا وكان هذا الأمر بداية الصراع على الحكم ،وكان خلفاء الأسكيا محمد يفتقرون الى القيادة الواعية مما جعلهم يقعون فريسة لصراع مرير على السلطة ،وسادت بينهم المؤامرات والفتن، ولم يحققوا الامن والطمأنينة لمواطنيهم فتلاشى الثراء الذي شهدته سنغاي في عهد مؤسس الأسرة[1] .

2-الدولة السعدية وأحمد منصور السعدي :

2-1 المغرب في عهد الدولة السعدية :

ذكر الافراني في نسب السعديين فقال:" محمد المهدي بن محمد القائم بأمر الله بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله المدعو ابن عرفة ....بن عبد الله الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم "[2].

أما ابن القاضي فذكر: "أبي محمد المهدي بن مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله تعالى ابن أبي زيد عبدالرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم ....بن عبد الله الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما" [3].

وعرف السعديين عند العامة باسم الزيدانيون قدم جدهم محمد بن أحمد بن القاسم من ينبع النخل ونزل باءقليم درعة من المغرب عام ثلاثين وستمائة واستقروا وولد له بها أولاد [4].

---

[1] -قمر الدين محمد فاضل الله: لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الاسلامية (1591،1468م)،مجلة الدعوة الاسلامية ،عدد4،ليبيا ،1987،ص220.

[2] -محمد الصغير الافراني :نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي ،تح: هوداس ، مطبعة أنجي ،1888،د،ب،ص3.

[3] – أحمد ابن القاضي :المنتقى المقصور على مأثر الخليفة المنصور ،تح: محمد زروق ،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ،المغرب،1986،ص ص 242،243.

[4] -أبي القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم الزياني: جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت و المرجان في ذكر ملوك وأشباح السلطان المولى سليمان، تح: عبدالمجيد، دار الكتب العلمية،لبنان،2003،ص99.

ويذكر الناصري بأن السعديين أسرة عربية الأصل من ينبع النخل من أرض الحجاز وقيل أنهم أشراف من ولد محمد النفس الزكية رضي الله عنه ،سموا بالسعديين لأن الناس سعدوا بهم والبعض يطعن في شرفهم ويزعم أنهم من بني سعد بن بكر قبيلة حليمة السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم [1].

نزح السعديون من الحجاز الى المغرب بسبب أن أهل درعة [2]كانت لا تصلح ثمارهم وتعتريها العاهات ،فقيل لهم:لو اتيتم بشريف الى بلادكم كما أتى أهل سجلماسة لصلحت ثماركم فأتى أهل درعة بالمولى زيدان بن أحمد [3].

ظهرت في القرن الخامس عشر اعتداءات من طرف البرتغاليين والاسبان على المغرب ونتيجة لفشل الوطاسيين[4] في حماية المغرب وصد هذه الهجمات [5]،واشتغالهم بالانهماك في المستلذات وقلة الحزم عن الأمور المهمة[6]، ازدادت الحملات على سواحل المغرب في الشمال والغرب على المحيط الاطلسي واستولوا على الكثير من الموانئ والمدن وكلما سيطروا على مدينة أو ميناء ازداد غضب

[1] -أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار الدول الأقصى ،ج5،تح: جعفر الناصري ،محمد الناصري، دار الكتاب ،المغرب ،1997،ص 3.

[2] -درعة: تعود تسميتها الى النهر الكبير الذي تتفجر عيونه نحو جبال الأطلس مرورا بليبيا للمزيد أنظر كاربخال :المصدر السابق،ص144.

[3] -شوقي أبو خليل : معركة وادي المخازن معركة الملوك الثلاث، دار الفكر ،سوريا،1988،ص 32.

[4] –الوطاسيين: ينتمون الى قبيلة صنهاجة هاجر جدهم الأكبر من تلمسان الى المغرب للمزيد أنظر :ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ ،ج2،دار الرشاد الحديثة ،المغرب ،2000،ص168.

[5] -عثمان عثمان اسماعيل :العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى ،ج5،مطبعة المعارف الجديدة ،المغرب،1993،ص 45.

[6] -المجهول:تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية ، تح:عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، المغرب، ط1 ،1994،ص12.

الشعب ورغبته في مقاومة البرتغاليين واخراجهم من البلاد [1]، لذلك بحثت قبائل المغاربة عن شخص يقودهم للجهاد فأرشدوا الى محمد القائم بأمر الله[2] وكان مقيما بدرعة فارسلوا اليه واجتمع مع الفقهاء وبايعوه وشرع في الجهاد وحقق انتصارات عديدة وظل يجاهد الى ان وافته المنية 923هـ ،فبايع الناس ابنه [3]، أحمد الاعرج [4]فحارب هذا الاخير البرتغاليين واستولى على مراكش وجعلها عاصمة للسعديين ،كما حدثت معركة بينه وبين الوطاسيين وانتهت بعقد معاهدة بين الطرفيين على اثرها انقسمت البلاد بينهم فيكون السعديون في الجزء الواقع من تاولا الى السوس [5]،وانتزع أبو عبد الله محمد الشيخ[6] الملك من أخيه وقبض عليه واستطاع دخول مدينة فاس الا أنه قتل في 961هـ وتولى بعده ابنه عبد الله الغالب[7] الذي حارب الاتراك والبرتغاليين وبعد وفاته في981هـ[8]،بويع ابنه محمد الذي لقب المتوكل[9] على الله وكان فظا غليظا مستبدا قتل اثنين من اخوته عند وصوله للحكم

[1] –شوقي ضيف : عصر الدول والامارات (الجزائر، المغرب الأقصى ، موريتانيا، السودان) ، دار المعارف ،مصر،1995،ص291.

[2] -القائم بأمر الله :أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله تمت مبايعته 1510م فقام بمحاربة البرتغاليين وحقق عدة انتصارات وتوفي سنة 923هـ للمزيد أنظر: ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ ،ص244.

[3] -علي محمد الصلابي :تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي، دار المعرفة الاسلامية،لبنان،2009،ص486.

[4] – أحمد الأعرج: أبو العباس أحمد الاعرج ولد سنة 1486م وبويع وليا للعهد 918هـ أول عمل قام به تعبئة الجيوش لمحاربة البرتغاليين ، للمزيد انظر : ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ ،ص245.

[5] -كمال شبانة :الدويلات الاسلامية في المغرب ،دار العالم العربي،مصر،2007،ص91.

[6] -محمد الشيخ : ولد محمد المهدي سنة 893هـ/1488م، وكان يعرف بالشيخ تلقى دراسته بسوس وفاس تم اغتياله على يد الأتراك ،للمزيد أنظر : ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ ،ص247.

[7] -عبد الله الغالب: ولد عبد الله الغالب بن محمد الشيخ بتارودانت سنة933هـ،وكان مستقيم السلوك ،عادلا في احكامه محبا للصلحاء، للمزيد انظر :ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ ،ص253.

[8] -محمد الصلابي ،المرجع السابق ،ص486.

[9] -محمد المتوكل :بويع بعد وفاة والده بفاس أولا ثم مراكش ،وهو ابن أمة كان مثقفا ولاسيما في الادب والشعر ،عرف بالمسلوخ لأن المنصور أمر بسلخ جلده وحشوه جلدا بعد موته ،للمزيد أنظر :ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ،ص 256.

[1]،و مما زاد غضب عمه عبد الملك[2] بعد اغتصاب ابن أخيه الملك الأمر الذي جعله يلتجئ هو وأخيه أحمد إلى السلطان العثماني بالقسطنطينية بغرض مده بالجنود ،في حين تلقى المتوكل الدعم من قبل ملك البرتغال سبستيان [3]وعلى اثر ذلك وقعت معركة وادي المخازن [4]والتي كان من نتائجها اعتلاء أحمد المنصور للحكم [5].

2-22أحمد منصور السعدي واعتلائه الحكم:

هو أبي العباس أحمد بن الامام مهدي الأمة أبي عبد الله محمد بن الشيخ الخليفة الامام القائم بأمر الله [6]،ولد بفاس سنة 956هـ/1549م وأمه مسعودة الوزركتية البربرية المعروفة لدى الأوساط الشعبية بلالا عودة لها أوقاف خاصة بمراكش [7]،وصفه الافراني بأنه طويل القامة ممتلئ الخدين واسع المنكبين تعلوه صفرة رقيقة أدعج أسود الشعر أكحل العينين ضيق الفلج براق الثنايا جميل الوجه مليح الصورة ظريف النزع لطيف الشمائل حسن الشكل[8]،وقال عنه ابن القاضي :"وقد اجتمع لمولانا من الحسب

---

[1] -شوقي أبو خليل ،المرجع السابق ،ص33.

[2] -عبد الملك: هو أبو مروان عبد الملك بن محمد الشيخ المهدي تمت بيعته بفاس بعد فرار المتوكل 983هـ للمزيد أنظر ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ،ص257.

[3] -سبستيان :ابن جون الثالث تربع على عرش البرتغال في1558 حكم امبراطورية امتدت في افريقيا واسيا و أمريكا للمزيد أنظر :شوقي أبو خليل :معركة وادي المخازن ،ص30.

[4] -وادي المخازن :معركة وقعت سنة 986هـ/1578م من نتائجها وفاة ثلاث ملوك للمزيد انظر :ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ،ص259.

[5] -جلول بن قومار :معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا 986-1578هـ/1012-1603،مذكرة ماجيستير تاريخ حديث ومعاصر ،اشراف عمار بن خروف، المركز الجامعي بغرداية، غرداية ،2010-2011،ص59.

[6] -أبي فارس عبد العزيز الفشتالي : مناهل الصفا في مأثر موالنا الشرفاء ، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية ،المغرب ،1972،ص25.

[7] -شوقي أبو خليل، المرجع السابق،ص37.

[8] -محمد الصغير الافراني ، المصدر السابق،ص78.

والنسب ،و ملك، والعلم، والحلم، وحسن المعاشرة، وكرم الأخلاق ،وكثرة البذل ،والتودد لرعيته ،وجبر قلوبهم والشفقة عليهم، والرأفة بهم ،ما لم يجتمع لملك قبله "[1].

درس في أكثر من مركز علمي ولاسيما في تارودانت [2]ومراكش[3] و فاس درس علوم اللغة والأدب والتاريخ والتراجم ،الفقه ،الحديث ،المنطق والبلاغة والرياضيات والاصول والتفسير[4] .

شيوخه:

كان من أساتذته في النحو ومواد اللغة العربية أبو العباس أحمد بن القاسم الأندلسي وأبو مالك الحميدي ومحمد الحارثي ،وأخذ الفقه عن أبي عمران السويسي وعبد العزيز بن ابراهيم الدمناتي وأحمد بن علي المنجور والحديث الشريف عن أبي نعيم رضوان الجنوي، وقرأ على يد أساتذة آخرين وكان يجمع بين علوم كثيرة [5].

عقدت له البيعة بعد معركة وادي المخازن 986هـ/1578م وابتدأت بيعته بأرض المعركة ثم بمدينة فاس ،ولقب أحمد بالمنصور، فدان له كل المغرب بالولاء لمدة ست وعشرين سنة عرفت إثناءها الدولة السعدية أوج عظمتها[6].

وعندما كان المنصور بفاس ثارت ضده جماعة من قواد الجيش بقيادة الكاهية محمد زرقون قائد العساكر وذلك بسبب علاقته الجيدة مع الأمير داود بن عبد الله المؤمن ومحاولة توليته الحكم ، مما وسع من دائرة التمرد ضده الا أن حنكته السياسية والعسكرية مكنته من التخلص من المناوئين له

[1] -أحمد ابن القاضي :المصدر السابق،ص244.

[2] -تارودانت:من أقدم المدن المغربية بناها بربر وجددها محمد الشيخ ،كانت مركز لصناعات عديدة للمزيد أنظر :ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ :ص386.

[3] –مراكش: بناها المنصور الموحدي وسماها تمراكشت وموقعها جنوب العاصمة وهي من أجمل المدن المغربية للمزيد أنظر :ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ،ص388.

[4] -شوقي ابو خليل ،المرجع السابق ،ص37.

[5] -ابراهيم حركات : ،ص ص 262،263.

[6] -ناصر الدين سعيدوني واخرون :معجم المشاهير المغاربة ،جامعة الجزائر، الجزائر ،1995،ص255.

بالقضاء عليهم فقتل معظمهم ووضع الأمير داود بن عبد المؤمن في الاقامة المحروسة الى وفاته[1] ،وتحصينا لنفسه من مثل هذه الحركات عمل المنصور على تجديد الجيش السعدي فقسم الجيش الى أقسام وجعل على رأس كل قسم قائد يسوس أمرهم ،واخترع الألقاب والأسماء ونظم الجيش طبقات متفاوتة من حيث القوة والمكانة وعين لكل قسم من الأقسام محلا ومكانا يقف به وعملا يخصه [2]، كما انصرف اهتمام المنصور الى تنظيم الادارة فألزم الولاة و الكتاب القيام بوظائفهم وفرض عليهم تقديم تقارير عن مهامهم ،وأصلح النظام الجبائي فأقر الخراج وأحدث مكوسا على الأسواق والمبادلات ،وكون مجلسا للشورى عرف بالديوان يجتمع بطلبه وأدخل العديد من الألقاب والالبسة التركية مثل الباي وغيرهم، اما المنشآت العمرانية فقد شيد المساجد والحصون والقلاع والقناطر بمختلف انحاء المغرب ومن اهمها بناؤه لقصر البديع والذي تطلب انجازه ستة عشرة سنة 1578-1594 وأنفق عليها أموال طائلة [3] .

جعل المنصور السعدي من مراكش العاصمة الأكثر تقدما ورفاهية وفخامة فاستدعى العديد من الصناع المهندسين لإقامة المنشآت بها ،أما علاقاته الخارجية فكانت مع انجلترا جيدة حيث انه استقبل الوفد الملكي الانجليزي لتهنئته بعد معركة وادي المخازن وربط معه علاقات تجارية لتبادل المنتجات اذا كان المغرب يستورد منها ملح السلاح وهي تستورد منه البارود المراكشي، أما مع ملك اسبانيا فكانت العلاقة يسودها الحذر لأن الملك فيليب الثاني أعلن استعداد قواته عندما علم بهزيمة ابن أخته الملك سيباستيان شحن الثغور البرتغالية لآنه كان يعد نفسه قائما على ممتلكات المغرب[4] ،وفي أكتوبر 1578 ارسل الملك فيليب الثاني وفدا اسبانيا الى المنصور يطلب فيه تسليم جثة ابن أخته لإتمام مراسيم دفنه بلشبونة فرد عليه المنصور في اليوم الثاني من رمضان 986هـ/1587م

[1] -عبد الكريم كريم :المغرب في عهد الدولة السعدية ،منشورات المؤرخين المغاربة، المغرب ،2006،ط3،ص108.

[2] -عبد الحق المريني :الجيش المغربي عبر التاريخ ،مطبعة المعارف الجديدة ،المغرب ،1997،ط5،ص60.

[3] -ناصر الدين سعيدوني واخرون ،المرجع السابق ،ص ص 226-227.

[4] -عبد الفتاح غنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ،ج6،مكتبة مدبولي ،مصر،1994،ص ص 194-1997.

بتسليمه جثة سيباستيان فكان التقارب الحذر بينهم كما أهداه الملك فليب الثاني العديد من الهدايا [1].

وبالنسبة لعلاقة المنصور مع العثمانيين فاتسمت بالصفاء وحسن الجوار الذي لم يدم طويلا لذا كان المنصور لا يأمن أتراك الجزائر فتقرب من الاسبان تحسبا لصد أي خطر من الأتراك[2] .

في سنة 1007الى 1016هـ/1599الى 1607م فتك بالمغرب وباء أهلك الألاف من السكان ، ومن بين الشخصيات البارزة التي أودى بها أحمد المنصور الذي توفي ودفن بفاس في ربيع الثاني 1012هـ/أوت 1603م بعد أن حكم المغرب ستا وعشرين سنة ،ونقل رفاته ابنه زيدان الى مراكش حيث دفنه بقبة الأشراف [3].

3-علاقات المغرب مع بلاد السودان الغربي قبيل حملة المنصور:

لاشك أن التواصل بين المغرب وبلاد السودان قديم قدم التواجد العربي الاسلامي في شمال افريقيا ، وتحدثت عن ذلك جل المصادر العربية وحتى الافريقية منها بدءا من البكري وابن حوقل والمسعودي مرورا بابن بطوطة وصولا الى حسن الوزان وغيرهم من المؤرخين والرحالة، الذين رسموا مختلف أشكال الترابط والتواصل السياسي والاقتصادي والثقافي ، الا أنه وبالعودة الى المصادر في الحديث عن الفترة التي سبقت حكم المنصور فاءن جل هذه المصادر ركزت في تناولها للعلاقات بين الشمال والجنوب على الجانب التجاري دون غيره .

تعود الروابط التجارية بين غرب افريقيا وشمالها ،الى ألف سنة قبل الميلاد، حيث توسعت على أيدي القرطاجيين وأعطاها الرومان دفعا بفعل استخدام الجمال، ومع انهيار حكمهم تقلصت هذه التجارة حتى وصول البيزنطيين ، ومع قدوم العرب في القرن السابع للميلاد كان التجار والدعاة

[1] – جلول بن قومار: المرجع السابق ،ص ص111-112.

[2] -عمر بن قايد :أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،العدد17،غرداية ،2012،ص141.

[3] –ابراهيم حركات : المرجع السابق ،ص 273.

يتواجدون في المنطقة وزاد نفوذهم بعد غزو المرابطين لغانا أما التطور الفعلي لهذه العلاقات التجارية فكان مع منتصف القرن الثالث عشر الى نهاية القرن السادس عشر [1]،وكانت أبرز وأهم المنافذ بين المغرب وبلاد السودان ما يلي:

1-الطريق الممتد من تغازة الى تنبكتو المعروف بطريق الذهب.

2-الطريق الوافد من طرابلس الغرب والذي يمر بفزان وينتهي في منطقة الكانم حول بحيرة التشاد [2].

3-الطريق من سجلماسة الى والاته[3] ومنها الى تنبكتو و جيني وغاو.

4-من تلمسان يمر بغرداية وتوات وينتهي الى تنبكتو .

5-من تقرت[4] الى ورقلة الى غاو وهذا المسلك يتصل شمالا بموانئ البضائع الجزائرية الهامة كبجاية وسكيكدة والجزائر وغيرها .

6-من واحة الجريد في جنوب تونس مرورا بورقلة وواد سوف أو غدامس[5].

7-من مصر يمر طريق بواحة سيوة وبزويلة وتادمكة وينتهي الى تنبكتو [6].

---

[1] -ج-هوبكنز :التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ،ترجمة وتقديم :أحمد فؤاد بليغ ،محمد عبد الغني سعودي ، المجلس الأعلى للثقافة ،مصر ،1998،ص158.

[2] -قمر الدين محمد فضل الله :المرجع السابق،ص212.

[3] -والاته: تقع الى الشمال الغربي من تنبكتو ومعناها الأرض المرتفعة كان سنغاي يدعونها بيرو تأسست حوالي القرن الاول هـ بدأت تحتل مكانتها كمركز تجاري على طريق الصحراء بعد سقوط غانة وقيام مالي ،للمزيد أنظر:عبدالله سالم محمد بازينة ،المرجع السابق ،ص147.

[4] -تقرت: مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء، يمر في سفحها نهر صغير يقطعه جسر متحرك ،وهي مسورة بسور من الطوب والطين ما عدا من جهة الجبل فاءن صخورها تحميها ، تقع المدينة على بعد خمسمائة ميل جنوب البحر الأبيض المتوسط ، وثلاثمائة ميل من تيكورارين ، للمزيد أنظر :حسن الوزان :المصدر السابق ،ص135.

[5] -غدامس: مدينة من السودان الغربي ،وكانت تعتبر من حواضر غانة تبعد 200ميل من كومبي صالح وسكانها خليط من العرب وقبائل السوننكي ، وكاانت المدينة أول مركز اسلامي يظهر في جنوب الصحراء وشهدت نهضة اقتصادية كبيرة ، للمزيد أنظر : محمد سالم بازينة : المرجع السابق ، ص ص139،140.

[6] -عبد القادر زبادية ،الحضارة ....، المرجع السابق ، ص ص 29-30 .أنظر الملحق 4ص107.

لعبت سجلماسة دورا مهما في عملية التواصل بين المغرب والسودان بحكم موقعها على مشارف الصحراء الكبرى ولم تختص سجلماسة فقط بهذا الدور بل كانت كل المناطق الواقعة جنوب درعة ووادي نون [1]،كما اعتبرت أودغست[2] مسلكا تجاريا شهيرا بين المغرب والسودان[3] .

1-3السلع المتبادلة بين المغرب والسودان:

كانت أغلب البضائع التي ترد الى السودان في عهد الاسكيا تأتي من بلدان المغرب العربي، و هناك قسم يرد عن طريق مصر وكانت هذه البضائع تعمل على تنشيط التجارة الداخلية وجبايات الحكومة وتوفير العمل وحين تتوقف يضطر الناس الى جذور الحشائش للتغذي بها وتحدث المجاعات بالمنطقة[4] .

تمتاز منطقة السودان الغربي بثروات معدنية مهمة وهي: الذهب والملح التي تاتي على راس صادراتها و التي حظيت بعناية فائقة من قبل الملوك السودان ،ويعتبر الذهب أهم المعادن بالمنطقة والذي كان متوفرا في سنغاي خاصة على عهد الاسكيين والذي يستخرج عند حافة نهر النيجر العليا الذي يجرفه عند انحداره السريع من مناطق الجبال العالية حيث يتسع مجراه عند غاو وتنبكتو فيفيض على الجوانب في موسم الامطار[5] .

قايض التجار الذهب بالملح نظرا لحاجتهم الماسة اليه ولأن مواردهم منه لا تغطي الحاجة الاستهلاكية فازدادت رغبتهم في ملح الشمال الافريقي الذي أصبح السلعة الرئيسية التي يجلبها

---

[1]-حسن حافظ العلوي، سجلماسة واقليمها في القرن الثامن عشر الهجري الرابع عشر الميلادي،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب،1997،ص346.

[2] -أودغست :تقع في الجمهورية الاسلامية الموريتانية تقع جنوب سجلماسة على مسيرة شهرين ،انظر أحمد محمد اسماعيل أحمد الجمال،تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء السودان الغربي ،حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية،مصر ،الحولية 8،ص29.

[3]-نفسه،ص29.

[4] -عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي...،ص218.

[5] -الهادي مبروك الدالي :المرجع السابق ،ص ص281-282.

التجار ولأهمية الملح القصوى في حياة اهل السودان صار عملة شرائية يصرفونها ويقايضون بها أحيانا بوزنها ذهبا [1].

ومن بين صادرات السودان ايضا نحو المغرب العبيد فنظرا لتوسع رقعة المجال الذي يشغله العرب كثر الطلب على الرقيق في شمال افريقيا والشرق الأوسط لاستخدامهم كجنود وعمال وخدم [2]،وكانت أسواق السودان عامرة بعدد كبير من العبيد من مختلف الأعمار وأثمانهم منخفضة لذا كان التجار يعودون بأعداد كبيرة منهم ويبيعوهم في أسواق المغرب ،ويتم جلب العبيد من مناطق الغابات الجنوبية الوثنية [3].

التوابل : على غرار التبر كانت هذه المواد تستقدم للسودان وبلاد سنغاي من مناطق الغابات الاستوائية في الجنوب وكان التجار المحليون يذهبون الى هناك لجلبها حيث شكلت التوابل مادة مهمة للصيدلة ،ومنها تتكون معظم الأدوية وأثمانها مرتفعة، وقد ربح التجار الذين يقصدون سنغاي أموالا طائلة من وراء هذه التجارة [4].

ومن صادرات المغرب نحو السودان الخيول المغربية فخلال القرن 15و16 أخذت طابعا خاصا بفضل الاقبال الكبير الذي لقيته من طرف ملوك السودان حيث أن القافلة كانت تعرض على الملك أولا فيختار الملك العدد الذي يريده ويدفع فيه ثمنا مناسبا[5] .

حظي الودع في سنغاي بمكانة كبيرة اذ اتخذ في الأسواق كنقود يعوض بها عن الذهب في البيع والشراء، وتستعمل كحلي أيضا، اضافة الى هذا لاقت العطور رواجا كبيرا خاصة المسك والعنبر

[1] -قمر الدين محمد فضل الله: المرجع السابق ،ص213.

[2] -ج-هوبكنز: المرجع السابق ،ص161.

[3] -عبد القادر زبادية :مملكة سنغاي ...،المرجع السابق،ص225.

[4] -نفسه ،ص 226.

[5] -الحسين العماري :المرجع السابق ،ص45.

والخزامى والتي يستخدمها الملوك في مجالسهم ،وأيضا المنسوجات القطنية والحريرية والقمح والتمور والأواني النحاسية ومصنوعات الحديدية [1].

أما بالنسبة للسلع المجلوبة من بلاد السودان الى المغرب فتلخصت في الذهب والعبيد واستفاد المغاربة من هذين العنصرين بسبب انخفاض أسعار اقتنائهما فكانا عاملا مهما في غنى التجار المغاربة ونقل بعض هذه السلع الى البلاد الأوروبية واستغل أغلبها محليا في صناعة الحلي وضرب النقود[2] .

[1] -عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي...،المرجع السابق،ص ص 219،221.

[2] -حسن حافظ العلوي ،المرجع السابق ،ص393 .

الفصل الثاني

حملة أحمد المنصور على السودان الغربي

1-الأطماع المغربية الأولى في بلاد السودان:

كان لتلك الروابط والمزايا التجارية التي حققها المغرب من علاقاته مع بلاد السودان ،ان ازدادت رغبته من اجل تحقيق فوائد اكثر وعوائد مالية اكبر ، فازدادت بذلك الاطماع وتوسعت الأطماع والآمال ،وكان المنفذ والسبيل لتحقيق ذلك ارسال حملات توسعية للسيطرة على مصادر هذه الثروات مما عجل بتسيير وانفاذ تلك الحملات ،تأتي على راسها حملة المنصور.

سبقت حملة المنصور على بلاد السودان حملات مغربية أخرى تؤكد على أن السعديين كانوا يطمحون الى بسط نفوذهم الى بلاد السودان ليمتلكوا موارده من الذهب [1]. وتعد الحملة التي قام بها السلطان السعدي أحمد الأعرج سنة 1546م باكورة هذه الحملات العسكرية ،حيث طلب احمد الاعرج من الأسكيا اسحاق الأول [2]أن يتنازل له عن مناجم ملح تغازة فرفض ذلك رفضا قاطعا[3] ،وأرسل الأسكيا ألفين من الطوارق للإغارة على درعة وخربوها فرد عليه الأعرج بحملة تأديبية الى ودان [4]الا أن هذه الأخيرة فشلت[5] ،بسبب قلة التموين وطول المدة فقضت المجاعة والعطش على بعض الجيش ورجع من بقي منهم الى مراكش [6].

---

[1]-عبد القادر زبادية:سنغاي ...،المرجع السابق،ص90.

[2] -اسحاق الأول: تولى الحكم بعد وفاة أخيه اسماعيل 946هـ/1539م وقد تم اختياره من قبل الجيش ،عمل على استمالة خصومه وغير كل قادة الجيش وضباطه لإيقاف تدخلهم في شؤون الدولة، للمزيد أنظر أسماء أحمد الأحمر: المرجع السابق ،ص179.

[3] -يحي بوعزيز :تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين ،دار هومة ،الجزائر ،2001،ص90

[4] -ودان: قرية في صحراء نوميديا المتاخمة لليبيا يسكنها قوم خشنون فقراء ،للمزيد انظر حسن الوزان، المصدر السابق،ص116.

[5] -عز الدين عمر موسى :دراسات اسلامية غرب افريقيا ، دار الغرب الاسلامي ،لبنان ، 2003،ص85.

[6] -أسماء أحمد الأحمر : المرجع السابق ، ص 197.

وفي عام 1555م أرسل السلطان محمد الشيخ حملة الى تغازة قتلت مأمور الضرائب [1]،وتسبب الحادث في حدوث اضطرابات في المنطقة ،وأشار مستشارو الأسكيا على هذا الاخير بالتنقيب في منطقة تقع الى الجنوب تغازة وهي تغزة الغزلان، التي باشر فيها عملية التنقيب بعدها وجد المغاربة أنفسهم في مكان مهجور فدفعهم ذلك بالعودة الى مراكش وبعد جلاء القوات المغربية أمر الأسكيا بعودة العمال الى المنجم تجنبا لاحتمال أي مجابهة ضد الجيش المغربي [2].

أما في عهد الأسكيا داوود[3] ،فقد أراد المغرب أن يحقق أهدافه بالطرق السلمية ،اذ أرسل أحمد منصور السعدي بهدية الى أسكيا داوود قوامها عشرة ألاف أوقية من الذهب ، لذلك قبل بتأجير مناجم تغازة لمدة سنة لأنه لا يستطيع مجابهة قوة الجيش المغربي ، كان الهدف من الحملات المغربية السيطرة على مناجم الملح التي كانت تمثل مصدر التجارة الأول لمقايضته بالذهب فالناس لا يستطيعون الاستغناء عنه لذا خشي المغاربة من بقاء هذه الثروة في يد سنغاي خاصة لقرب مناجم تغازة من مراكش منها الى سنغاي [4].

[1] –يحي بوعزيز ،المرجع السابق ،ص109.

[2] –عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص91.

[3] -الاسكيا داوود: تولى الحكم بعد وفاة أخيه الاسكيا اسحاق956هـ/1549م وكان أول أعماله هو استبدال موظفي الدولة بأخرين جدد ذو كفاءة، كان داوود من أشهر ملوك سنغاي بعد أسكيا محمد من حيث حسن الإدارة وشؤون الدولة ،للمزيد أنظر أسماء أحمد الأحمر،ص181.

[4] –أسماء أحمد الأحمر :المرجع السابق ،ص 194.

1-1دوافع حملة المنصور على السودان الغربي :

1-1-1الدافع الديني:

أثناء حج الأسكيا محمد التقى الشريف العباسي فطلب منه أن يجعله خليفة له في أرض سنغاي ، فجعله خليفته ووضع على رأسه قلنسوة وعمامة من عنده ، فكان خليفة صحيحا في الاسلام [1].

الأمر الذي أصبح مصدر قلق بالنسبة للسعديين الذين يروا أنفسهم أحق باللقب في العالم الاسلامي سبب نسبهم الشريف واعتبروا الأمر منافسة لهم وتعدي على مركزهم الروحي حتى أنهم رفضوا الدعاء للسلطان العثماني بالخلافة ، ومن هنا اعتبروا حاكم سنغاي معزول شرعا ما لم يعترف بهم ويدخل في طاعتهم [2]، اضافة الى أن أراد أحمد المنصور أن يوحد البلاد لقيام وحدة اسلامية ومنع وقوع هذه البلاد في أيدي القوى الأوروبية الاستعمارية لاسيما الفرنسية والانجليزية الأمر الذي أدى بتأخر الاستعمار بها لأكثر من قرنين من الزمان [3].

في سنة 990هـ/1582م ورد الى المنصور رسول أبي العلا ادريس صاحب مملكة بورنو في السودان الأوسط ، حاملا معه الهدايا المعتادة طالبا من أمير المؤمنين المدد بالعدة والعساكر للجهاد فيما يلي مملكة بورنو في السودان من الكفار ،ثم ورد الرسول مرة ثانية فطالبهم المنصور بالمبايعة له والدخول في طاعته والانقياد لدعوته وألزمهم القيام في أقطارهم بدعوته وجهاد الكفار بكلمته وعلق لهم الامداد بالوفاء بهذا الشرط وعهدته [4].

---

[1] -عبد الرحمن السعدي :المرجع السابق ، ص ص 220-221.

[2] -الحواس الغربي: السيادة السعدية في البلاد السودانية (1591-1660م)، مذكرة ماجيستير في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ،اشراف: صابر شريف خالد، جامعة بن يوسف بن خدة ،جامعة الجزائر ،2009/2008،ص34.

[3] -مقلد غنيمي : المرجع السابق، ص214.

[4] -نقولا زيادة: افريقيات دراسات في تاريخ العربي والسودان الغربي ،رياض الريس للكتب والنشر ،لندن ،1991،ص375.

2-1-1الدافع الاقتصادي:

تعرض المغرب بعد معركة وادي المخازن بسنة واحدة الى مجاعة ووباء الى حدود سنة 1580،ثم عاد الوباء ومعه الجفاف في 1582-1583 مما أثر في مداخيل الدولة ،وزاد م حاجتها الى الأموال.

كما وجد المنصور نفسه حين وصوله للحكم خزائن فارغة وخسائر كان لابد من تعويضها ،منها احراق المتوكل لبعض معاصر السكر ،كما ألفت القبائل الفوضى وبالتالي عدم دفع الضرائب فكان لابد من ارغامها على ذلك بالقوة [1].

وفي القرن السادس عشر كان الملح أبرز المواد التي يستوردها السودان الغربي وكانوا يستخدمونه كوسيط في المبادلة في حين يستخدم الذهب والفضة في مناطق أخرى ،لذا كان من الضروري السيطرة على بعض المناجم للتحكم في التجارة ومن بينها تغازة التي يستخرج منها الملح بالحفر ويبيعونه لبعض التجار الذين ينقلونه الى تمبكتو ولولا ذلك لحصلت ندرة كبيرة من الملح ،تخوف المغاربة من انقطاع تجارتهم مع السودان لذا فكان الاستيلاء على تغازة ذا نفع كبير من وجهة نظرهم فهو يتيح لهم السيطرة على أكبر سوق للذهب [2].

عمل المنصور على كسب ود الاسكيا داود عبر تقديم هدايا ضخمة له مقابل تنازله بطريقة سلمية عن الممالح فوافق وبعد وفاة الاسكيا داود سنة 1582 خلفه الأسكيا محمد[3]فعجل المنصور

[1] -محمد زروق: ملاحظات حول الوجود المغربي بالسودان خلال فترة أحمد منصور السعدي (1578-1603)،أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ،جامعة حسن الثاني ، المغرب ،1989،ص289.

[2] -بوفيل :تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ،تر: الهادي أبولقمة ،محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس ،ليبيا ،1988،ص ص 270-272.

[3] -الأسكيا محمد: (990- 995هـ/1582-1586م)تولى حكم سنغاي بعد وفاة والداه داوود بايعه الجيش وأهل غاو ،حدث في عهده فوضى واضطرابات وعدم الامن وانتشر الظلم والفساد و بدأت المملكة في عهده بالضعف ، للمزيد أنظر : أسماء أحمد الأحمر ،ص 186 .

بإرسال بعثة من رجاله تحمل هدية ضخمة له حين رجوعهم اكتشف أن هناك اضطرابات قائمة في بلاد سنغاي [1].

قام المنصور بإرسال حملات استكشافية حيث لم تتجاوز معلوماته عن المنطقة على أنها عبارة عن غابة كثيفة يوجد بها معدن الذهب وتكونت الحملة الأولى من عشرين ألف محارب حدد لها المنصور ودان كهدف أول ثم مجرى نهر النيجر ومنه الى الشرق حتى تمبكتو ،غير أن التموين وسوء التنظيم كان سبب في فشلها فقضت المجاعة والعطش على الحملة ورجع من نجا الى مراكش[2].

أرسل المنصور حملة ثانية تكونت من مائتي فارس سلاحهم البنادق وعين لهم تغازة هدفا ،تمكنت هذه الأخيرة من احتلال المنجم وهرب السكان من الحملة نحو الجنوب الى تغازة الغزلان واخرين الى تاوديني [3] لم يقم رجال الحملة الا مدة قصيرة ثم عادوا الى مراكش وبعد جلاءهم أمر الاسكيا بعودة العمال الى المنجم [4].

وفي 998هـ/1589م اتقى المنصور في فاس بأحد المغاربة الذي عاد لتوه من سنغاي كان يخدم في بلاط الأسكيا فزوده بمعلومات عن المملكة ،مما شجع السلطان في المضي قدما في سبيل تحقيق مشروعه[5]،فبادر بإرسال رسالة للأسكيا اسحاق الثاني[1] أثار فيها حقوقه في امتلاك الصحراء التي هي امتداد طبيعي للمغرب وأكد عليه بضرورة تسليم المماليح دون تريث للمغرب [2].

---

[1] -عبد القادر زبادية :سنغاي في عهد الاسقيين ،ص90.أنظر ملحق 5ص 108.

[2] -أسماء أحمد الأحمر ،المرجع السابق ،ص ص 196-197.

[3] -تاوديني : قرية حول سبخة ملح وبالرغم من عدم جودته الا أنه نظرا لقربها من تنبكتو بعشرة أيام لاقت أهمية كبيرة خاصة في العهد السعدي ،للمزيد أنظر : محمد الغربي ،ص 587.

[4] -عبد القادر زبادية:مملكة سنغاي ...،المرجع السابق،ص91.

[5] -أسماء أحمد الأحمر : المرجع السابق ،ص197.

أثار الطلب غضب الأسكيا فحرر رد شديد اللهجة مؤكدا له عدم التفريط في سياسة بلاده وأرفق جوابه هذا بنعلين من حديد [3]،فلما وصل الرد للمنصور عزم على الغزو[4] .

3-1-1 الدوافع المباشرة :

كان المألوف عند ملوك المغرب أثناء حكم المرابطين أن يتوسعوا على حساب الأندلس والجزائر ،استعاد ملوك اسبانيا بلا الأندلس فتعذر التوسع هناك واستشب الأمر للأتراك في الجزائر ،فلم يبق للمنصور الا أن يتجه نحو السودان فكان لهذا التوجه منفذ عسكري وسياسي واقتصادي للمغرب فرضته عليه الأحوال القائمة في تلك الربوع [5].

في 1589م كان المنصور في فاس يحاول القضاء على تمرد نشب في شمال العاصمة فوصل الى قصره رسول من مراكش يحمل اليه من ألد كرنفل [6]وهو أسير[7]،وهو أخو الأسكيا اسحاق الثاني وهو من خدام أمراء سنغي غضب عليه أسكيا فبعثه الى السجن فهرب الى مراكش وحض المنصور الى

---

[1] -اسحاق الثاني: ابن الاسكيا داوود تولى الحكم 997هـ/1588م كانت البلاد خلال فترة حكمه كثيرة الفتن والاضطرابات وما أن استقرت له الأوضاع حتى جاءت الحملة المغربية، للمزيد أنظر :أسماء أحمد الأحمر ،ص190.

[2] –عبد القادر زبادية :المرجع السابق ،ص92.

[3] –أسماءأحمد الأحمر: المرجع السابق ،ص197.

[4] -السعدي : المصدر السابق ، ص274.

[5] –نقولا زيادة: المرجع السابق ،ص376.

[6] –ألد كرنفل :اسمه الحقيقي علي بن داوود وأغلبية المؤرخين شككوا في نسبه الى عائلة الاسكيا ويعتبرونه ابن أمة للاسكيا داوود سجنه لأسكيا سحاق ،للمزيد أنظر :محمد الغربي،ص ص 194-195.

[7] –بوفيل :المرجع السابق ،ص277.

أخذ الأرض من أيديهم ويطلب منه الامداد بالعساكر [1]،وذكر ألد كرنفل أنه سيسلم للمنصور أموالا طائلة اذا ساعده على استرجاع ملكه وبين له امكانية فتح السودان بسهوله ،وأنه سيؤدي اليه ضريبة سنوية اذا فتح بلاده[2]،كتب المنصور رسالة للاسكيا طلب منه أن يبايعه ويسلم له مناجم الملح ومقابل ذلك يدفع المنصور عنه الجيوش الأجنبية المتربصة ببلاده وأن يقبل أي اقتر اح يمكن أن يعرضه الأسكيا بالنسبة لألد كرنفل الا أن اسحاق شعر بالتحقير لما أعطاه الاسكيا للثائر من أهمية وأجابه ببعث نعلين من حديد[3]،وقد زودت المنصور الرسالة الحجة والذريعة للإسراع وعدم التأخر في غزو السودان وتوجب عليه الحذر في التحرك فهو لا يستطيع المبالغة فيما يطلبه من شعبه الذي يجني أموال طائلة من تجارة السودان [4].

كما كانت محاولات استيلاء السعديين على مصادر الذهب منذ عهد محمد الشيخ ،وواصل ابنه عبد الله الغالب ففي سنة 1557 أصبح الذهب من بين المواد المصدرة من المغرب ،وازداد تدفق الذهب على المغرب اثر معركة وادي المخازن الا أنه سرعان ما بدأت حاجياتها تظهر من جديد .

لم يكن للسعديين الا سكر سوس للتعامل مع الأوروبيين ومع اعتلاء المنصور للحكم كانت معاصر السكر غير مستثمرة نتيجة ضعف المزارع والتجهيزات المائية ،حاول المنصور تحسين الوضع فعمد الى زيادة المزارع والتجهيزات المائية والصناعية ،أما اليد العاملة ففضل ان تكون من العبيد على نفس المنوال الذي اتبعه البرتغال والاسبان، فازداد عدد العبيد في المغرب خاصة وأنهم كانوا أهم واردات

[1] -الحواس الغربي:المرجع السابق ،ص 36.

[2] -ابراهيم حركات : المرجع السابق ،ص266.

[3] -محمد الغربي،المرجع السابق ،ص198.

[4] -بوفيل :المرجع السابق ،ص 278.

سنغاي نحو المغرب فتم استغلالهم في العمل في معاصر السكر والعمل في القصر وغيرها من الأعمال[1].

عسكريا:

لم يكن السودان يتوفر على قوة عسكرية حديثة التنظيم والتسليح فليست للجيش مدافع حتى ولا بنادق وعلى العكس من ذلك ،الجيش المغربي الذي كان بالرغم من قلة أفراده مجهزا على أحدث طراز بالنسبة لذلك العصر [2].

2-الاستعداد للحملة:

2-1الشورى:

عقد المنصور مجلسا للشورى ضم طبقات الأجناد وذوي الحل والربط وأولي البصيرة والحنكة وخبرة الأمور فافتحهم بعزيمته وما أجتمع عليه من تجهيز العساكر للأقاليم السودانية و الأصقاع الجنوبية [3].

ووضح لهم أن فتح السودان الذي كان معروفا بغناه الواسع، سوف يعزز كثيرا جيوش الاسلام وسوف يكون مفخرة يعتز بها حقا جميع المؤمنين ،وأعلن أن اسحاق الثاني لا تتوفر فيه الصفات اللازمة لتولي الحكم ،وفوق كل هذا أنه لا ينتمي الى قبيلة قريش أي ليس له الحق في الحكم [4].

[1] -محمد زروق : المرجع السابق ،ص278.

[2] -ابراهيم حركات : المرجع السابق ،ص264.

[3] -أبي فارس عبد العزيز الفشتالي :المرجع السابق،ص126.

[4] -بوفيل :المرجع السابق ،ص278.

وطلب من الملأ ألا يدخر أحدا رأيا وبين لهم أنه غير مستنكف من حق يوضحونه بحجة ولا متوقف عن الرجوع الى الصواب يثبتونه ببرهان [1]، وعند فتح المناقشة سكت الحاضرون ،فعاد أحمد المنصور الى الكلام قائلا:" أسكتم استصوابا لرأيي أو ظهر لكم خلافا ما ظهر لي "فأجابوه :"ان هذا غير داخل في حيز الامكان، ولا يتصور خياله في الاذهان "وأخذ كل واحد من الحاضرين يفصح عن رأيه الخاص وكانت خلاصة اعتراضات المجلس كالآتي[2]:

-عدم التفكير أية دولة من الدول المغربية السابقة بغزو السودان .

-صعوبة اجتياز الصحراء القاحلة واعتراض المفاوز والمجاهل القفار التي لا تشقها الرفاق القلائل الا بعد عطش شديد والافلات من الهلاك.

-يمكن للمنصور أن ينازل العثمانيين باعتباره خليفة النبي عليه الصلاة والسلام ويأخذ المناطق الشرقية أو يمكنه أن يجاهد المسيحيين في الأندلس [3].

فقال لهم المنصور: «إن كان هذا غاية ما استضعفتم به أمري وقابلتم به رأيي فليس فيه حجة ولا ما يخدش فيما عندي أما قولكم بيننا وبينها صحاري مخوفة ومفاوز مهلكة من جدبها وعطشها نحن نرى التجار على حالة ضعفهم وقلة استعداداتهم يشقون تلك الطرق في كل وقت ويخوضون في أحشائها مشاة وركبانا ومثنى وفرادى وقط لم تنقطع ركاب التجار منها وأنا أقوى أهبة منهم وللجيش همة وهيبة ليست للقوافل" .[4]

[1] -عبد الكريم كريم : المرجع السابق،ص155.

[2] -محمد الغربي: المرجع السابق،ص201.

[3] -محمد الغربي:المرجع السابق،ص201.

[4] -محمد الصغير الافراني : المصدر السابق ،ص91.

وأخذ المنصور يجيب على اعتراضات المجلس فقال: «أما قولكم ان من كان قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح أبصارهم لذلك، فاعلموا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس...ونحن اليوم قد انسد عنا الأندلس باستيلاء العدو الكافر عليها جملة ، وانقطعت عنا حروب تلمسان [1]باستيلاء الترك عليها " [2].وبهذا استضاء للملأ الحق فيما ذهب اليه المنصور وحينها رجع الجميع عن رأيهم الى سديد رأيه [3]، وقالوا له "قد طبقت المفضل وألهمت الصواب ولم تبق لأحد ما يقول "[4].

بعث المنصور الى علماء مصر يستجيزهم[5] ،وممن أجازه الامام العارف بالله أبوعبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري فأثنى على المنصور وأجازه ، اضافة الى من أجازوه أبو عبد الله محمد بن يحي المصري الشهير ببدر الدين القرافي صاحب "ذيل الديباج" فأجازه وختم اجازته بقوله:

أجزت لمن تفضل واستجازا وبادر لاقتنا خير وحازا

وأبرز في سلوك العلم حالا به من فضل مولانا يجازى

امام كامل غوث البرايا أمير المؤمنين حوى مجازا

وذلك بعد تشريفي بأمر وقصد للإجازة فاستجازا

---

[1] تلمسان : يحدها وادزا ونهر ملوية غربا ،والواد الكبير وصحراء نوميديا جنوبا خضعت للرومان ثم بني عبد الواد، للمزيد أنظر حسن الوزان،ص7.

[2] –أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :المصدر السابق،ص ص 113–114.

[3] –أبي فارس الفشتالي : المصدر السابق، ص128.

[4] –الناصري :المصدر السابق ،ص114.

[5] -الاجازة:الشهادة التي تمنح لخريجي المدارس الشرعية،ويطلق على الخريج في هذه الحالة المجاز ،للمزيد أنظر :سهيل صابان :المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهدالوطنية،السعودية،2000،ص26.

فبادرت امتثالا قدر وسعي ومقتفيا مناهج من أجازا

وقد أبديت حقا لا محالا بم صار الامام به مجازا

بفاتحة وسنة خير الهدى وسلسلة لمن حازا امتيازا[1] .

2-2 الجيش المغربي في العهد السعدي :

احتوى الجيش السعدي على عناصر غير محلية منها الأوروبيين والأتراك والأندلسيين ،عملت هذه الوحدات على تثبيت الدولة وتحقيق الانتصارات المنافسة في الداخل والخارج ويعتبر السلطان محمد المهدي الشيخ (1539-1556)أول من اعتمد عليهم في الجيش وتلتها محاولات أخرى [2].

-جيش النار:تشمل عدة فرق الفرقة الأولى مؤلفة من عساكر السوس تنحصر أعمالهم في حمل السلاح ومعاقبة العصاة وقهر الأعداء يدعى رأسيهم بشيخ الرماد وخليفة يدعى المقدم، والفرقة الثانية من عساكر شراكة من تلمسان نزحوا للمغرب والفرقة الثالثة من عساكر الودايا المشهورين بكثرة غزواتهم [3].

-الجيش التركي: تكونت الفرقة في عهد محمد المهدي الشيخ كانت منظمة على منوال الجيش الانكشاري[4] اختلف دورها على حسب العلاقة بين السلاطين السعديين والأتراك وفي 1553م

[1] -الناصري :المصدر السابق ،ص ص 115-116

[2] -دلندة الأرقش ،عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر: المغرب الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي ،تونس،2003،ص160.

[3] -عبد الحق المريني :المرجع السابق،ص60.

[4] -الانكشارية: بمعنى القوات الجديدة وهم فيالق عسكرية تكونت من أبناء الرعايا الدولة الذين تم جمعهم ما بين سن السادسة والخامسة عشرة من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا ،للمزيد أنظر :سهيل صابان ،ص41.

قامت هذه الفرقة بمساعدة أتراك الجزائر على ارجاع الوطاسيين للحكم والقيام بأعمال شنيعة وتورطت في مقتل محمد المهدي الشيخ (964هـ/1557م) قام عبدالله الغالب بالقضاء عليهم بتارودنت وبوصول عبد الملك المعتصم للعرش (1575-1578م)بمساعدة الأتراك استعادت هذه الفرقة وجودها من جديد ضمن جيش النار [1].

-جيش الأندلس: بعد سقوط غرناطة توافد عدد كبير من المورسكيين على المغرب فأشعل جانب منهم في الجهاد البحري وجزء في الجيش، فأصبح لهم تنظيم خاص في عهد محمد المهدي الشيخ[2]، وفي عهد المنصور قسمهم الى أقسام الأول منهم يرتدون القلانس الصفرية المذهبية ذات الأعراف من

ريش النعام يقفون أمام قبيته والقسم الثاني جعل لهم قلانس طويلة أما الفريق الأخير يحمل جنوده اللقاقيف وهي رماح غليظة قصيرة غليظة العصي مغشاة بالحديد ومرصعة بالمسامير البيض وكان قادة هذا الجيش علوج يرتدون زي عسكري كلما خرج المنصور للصلاة أوفي العيد أو لاستقبال سفير [3].

أعاد المنصور تنظيم الجيش على أسس حديثة فتألف حرسه من مجموعتين رئيسيتين الترك والعلوج ومن انضاف لهم من جهة أخرى ويمثلون الجيش النظامي ومن قسم منها تشكلت ست فرق وهي[4]:

-البياك: وهم أهل القلانس الصفرية المذهبة ذوات الأعراف من ريش النعام الملون يقفون أمام قبته وفسطاطه.

[1] -دلندة الأرقش واخرون: المرجع السابق،ص161.

[2] -المرجع نفسه، ص ص 160-161.

[3] -عبد الحق المريني :المرجع السابق ،ص60.

[4] -ابراهيم حركات: المرجع السابق،ص355.

-السلاق: أهل القلانس الطويلة البيض المرسلة على المناكب وفي أعلى الجباه جعاب صفر مذهبة ويضيفون اليها وقت الحزام أجنحة من ريش النعام ويركزونها في الجعاب بالقلانس ويقفون خلف البياك .

-بلبردوش: وهم أهل اللقاقيف وهي رماح قصيرة غليظة العصا مغشاة بالحديد مرصعة بمسامير بيض ركبت عليها أسنان من عظام وزجاج ويقف هؤلاء خلف السلاق [1] .

-السنشرية : وهم مختصون بالطعام وضعا ورفعا وقائدهم يختار من سبي وقعة وادي المخازن .

-القبجية : وهم يهتمون بحفظ الأبواب وغلقها وفتحها طائفة منهم تحرس ليلا وتطوف على السور المحيط بالدار ومن وظيفتهم خدمة الكرسي والسرير اللذان يجلس عليهما بالايوان وتعاهد أنماط الجلوس .

-الشواش : وهم الذين يتولون ضبط مصاف الجيوش في الحرب والسلم وانهاء الكتب والرسائل للجهات بخير أو شر [2].

ومن جهة أخرى هناك ثلاث فرق تشارك في الحرب وثلاث لخدمة السلطان الخاصة ولكل من هذه الفرق زي خاص على النمط التركي [3] .

ويذكر ابن القاضي في كتابه «المنتقى المقصور "بأن الجيش المغربي في مجمله من جيش نظامي والتطوعي يتكون من 40 ألف جندي ويعزز هذا الجيش كرديف يسمى بعرب الدولة وهم قبائل

[1] -الناصري :المصدر السابق،ص 163.

[2] -الافراني :المصدر السابق،ص116.

[3] -ابراهيم حركات :المرجع السابق،ص355.

موالية للدولة ، كانت هذه القبائل على أهبة الاستعداد لانجاد المنصور بقوات ومشاة يصل تعدادها الى 200 ألف جندي.

ضم الجيش السعدي أفراد من العرب والبربر والسود والأتراك والأوروبيين من اسبانيا وبرتغال الذين دخلوا الاسلام حديثا ويرجع هذا الاقبال على الجيش السعدي الى ما يتقاضاه أفراده فجنود الجيش النظامي يتحصلون على راتب كل أربعة أشهر من خزينة الدولة يتراوح بين 50و200دينار ويصل أحيانا الى 300 دينار[1] .

اهتم السعديين بصناعة المدافع ويرجع أقدم مدفع الى عهد محمد الشيخ 952هـ ،كما عمل عبد الملك على الاشراف بنفسه على انتاج المدافع ، أما المنصور فبنى معمل "دار العدة" على مقربة من قصر البديع بمراكش لصناعة مدافع النار كما عملوا بصناعة البارود .

بالنسبة الى الأسطول البحري حاول محمد الشيخ تكوينه فبنى 4مراكب ببادس وأخرى في سلا وفي عهد عبد الله الغالب كان الأسطول يتوفر على نحو 70مركب ،أما المنصور فأعد أسطوله بمرسى الرباط وسلا لمحاربة الاسبان وأسند الى الريس ابراهيم الشط قيادة الأسطول الأمامي الجهادي والى الريس شعبان من بعده رئاسة رؤساء المراكب الجهادية والقطائع البحرية وكان الأسطول يجول في المحيط الأطلسي مستعينا بالبوصلة وبمسجل السرعة [2].

استخدم الجيش السعدي بعض التسميات والمصطلحات العسكرية للفرق والرتب وحتى من خلال الأزياء والأسلحة النارية [3]،ومن بين المصطلحات العسكرية المستخدمة منها :

[1] –ابن القاضي :المصدر السابق ،ص188.

[2] –عبد الحق المريني : المرجع السابق ،ص ص 62-63.

[3] –دلندة الأرقش وأخرون : المرجع السابق،ص162.

الأودباشي: الملازم، بلكباشي: قبطان ، كاهية: كولونيل ،الباي: قائد القواد ،الطوبجي: المدفعي المحلة:معناها بالتركية الحملة أما المغاربة استعملوها بمعنى الحامية أو فريق من جيش ،وكان الجيش يتوفر أثناء الحملة على كل ما يلزم من جراحين وأدوية وعدد من الحلاقين والنجارين [1].

عمل المنصور على اعدا حملة عسكرية كبيرة ووفر لها ما يلزم من الابل والخيول والمدافع والبارود والبنادق والعربات وبراميل المياه[2]، جهز المنصور من الابل 8000والخيول1000والخيام180 والبارود300 قنطار و البارود المسحوق 10قنطار والرصاص300قنطار [3]،أما تعداد الجيش فبلغ اثنان وعشرون ألفا منهم ألفان من المعلمين البحرية والطبجية ألفان وعين المنصور على الجيش الباشا [4]جوذر[5] وشد أزره بجماعة من الأعيان الدولة [6]،أما السعدي فذكر أن في الجيش ثلاثة ألاف رام من بين أصحاب الخيل ورجل ومعهم من الأتباع ضعفها وكل صنف من صناع والأطباء وبعث مع جوذر نحو عشر قياد وهم: مصطفى التركي ،مصطفى ابن عسكر، أحمد الحروسي الأندلسي،أحمد بن

[1] –ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص ص 356-357.

[2] –يحي بوعزيز :المرجع السابق،ص115.

[3] –الحواس الغربي :المرجع السابق ،ص42.

[4] –الباشا: كلمة معناها في الاصل قدم الملك أو الشاه، وهو لقب عثماني أطلق على رتب متعددة عسكرية ومدنية وتعني أمير الأمراء،للمزيد أنظر :سهيل صابان،ص52.

[5] -جوذر باشا: هو اسباني الأصل من ألميريا ، لم تمد كل المصادر عن اسمه الحقيقي والكامل ، وكل ما يعرف عن حياته بأنه ينتمي لعائلة ثرية نزحوا الى المغرب ، Ismaël diadié Hadara :Jawadar pasha et conquête sadienne du songhay, Annjah al- jadida,maroc,1996,p10.

[6] –الناصري: المصدر السابق ،ص121.

يوسف ابن الحداد العمري، أحمد بن عطية ،عمار الفتى العلجي،أحمد بن يوسف العلجي ،علي بن المصطفى العلجي، بوشيبة العمري، بوغيث العمري ،باحسن فرير العلجي، قاسم ورودى العلجي[1].

2-2-1الأندلسيين ومشاركتهم في جيش السودان:

عند سقوط غرناطة بين أيدي النصارى كان المغرب ضعيفا عسكريا فلم يستطع نجدة المورسكيين بسبب الهجمات التي تتالت عليه من طرف الاسبان والبرتغال ،فلجأ المغرب الى التضامن مع الأتراك وصار يسهل للموريسكيين اللجوء الى المغرب واستقروا به وصاروا يشتغلون في الاقتصاد والزراعة وأصبحوا يتصرفون في سياسة الداخلية للمغرب وكونوا قوة خاصة في الجيش المغربي اضافة الى العناصر الأخرى [2].رغم سياسة المنصور الحذرة اتجاه الاندلسيين الا انه فتح لهم سبل الارتزاق ولارتقاء الى مختلف مناصب في الدولة والجيش والادارة ،كما شاركوا ايضا بالأسطول وعملياته الجهادية [3]،كما عمل المنصور على افتداء الكثير من الأسرى المورسيكيين منها افتدائه احد الاشراف "أنه استخلص أسيرا من أهل البيت شريفا أيضا فلما بلغ بلده قال هذا شريف ...وكان عدد المال ينيف على ثلاثة الاف أوقية فصار يدخل يده تحت سجادته ويخرج الذهب الشريفي حتى أكمل عدد الفدية" [4].

حين عزم المنصور على ارسال حملة للسودان الغربي صرح في مجلسه الاستشاري أنه سيعتمد على عساكر الأندلس[5]،"لأنها عساكر قاذفة بشواط النار وحصباء البندق المنهل بسحائب من البارود

[1] -السعدي: المصدر السابق،ص ص 275-276.

[2] -محمد قشتيليو: حياة المورسكيين الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها ، مطابع الشويخ ،المغرب،2001،ص ص28-29.

[3] -محمد زروق: الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين 16-17م،افريقيا الشرق ،المغرب،1998،ص178.

[4] -أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي : درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الاحمدي أبولنوار،ج3،دار التراث ،مصر، د ت ،ص261.

[5] -محمدزروق :ا لمرجع السابق،ص184.

مركوم تزجيه الرعود القاصفة والصواعق الراجعة تتبعها الرادفة فالحصة منها تدوخ أقصى تلك الأقطار لعدم قدرتها على مقاومتها والانتصار لمحاربتها"[1]،وفعلا شاركت الجالية الأندلسية بالمغرب بنصيب كبير في عملية فتح السودان واسندت قيادة الجيش نفسه الى قائد جيش الأندلس [2].

وقدر عدد الرماة الأندلسيين المشاركين في الحملة بحوالي ألف مهاجر من غرناطة وظل عدد الوافدين على السودان يتزايد وشارك في الحملة ايضا عدد من الاسبان الذين دخلوا للإسلام حديثا الذي سهر المنصور بنفسه لإقناعهم بالدخول للإسلام ليستفيد منهم في الحملة ،غير أن الحذر ظل سائدا في علاقته بالجالية الأندلسية نظرا لبعدها عنه بالسودان [3].

3-الحملة المغربية على السودان الغربي :

3-1أحمد المنصور وأطماعه في الصحراء والسودان:

بعد استقرار المنصور بمراكش اثر عودته من فاس و تأمين نفسه من هجوم الترك على المغرب طمح الى الاستيلاء على تيكورارين [4]وتوات[5] وما انضاف الى ذلك من القرى والمداشر[1]،وكانت بلاد

[1] -الفشتالي : المصدر السابق،ص128.

[2] -محمد زروق : المرجع السابق،ص185.

[3] -محمد زروق: مسألة الأندلس في عملية فتح السودان خلال عصر أحمد المنصور الذهبي، ندوة المغرب وافريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث ،منشورات معهد الدراسات الافريقية ،المغرب،1992،ص ص 23،24.

[4]-تيكورارين : منطقة مأهولة في الصحراء بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلا عن الشرق تسبت ،يوجد بها ما يقرب خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل سكان القرية أغنياء بسبب تجارتهم مع السودان ،للمزيد أنظر حسن الوزان ،ص133.

[5] -توات : مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تقع جنوب القطاع الوهراني وشمال الهقار ، يحده من الشمال العرق الغربي وهضبة تادميت ،ومن الجنوب هضبة مويدر ،قدر عدد قصورها بحوالي ثلاثمائة تقع في مناطق مختلفة على مسافة مائتي كلم

توات وتيكورارين لم يخضع أهلها على أيدي ملك منذ زمن ولم يستولي عليها سلطان فقرر المنصور ان يجمع الكلمة ويردهم الى أمر الله فبعث اليهم قائده أحمد بن بركة وأحمد بن حداد العمري المعقلي [2].

في جيش كثيف سنة 991هـ/1583م وصلت الحملة بعد مسيرة شهرين ونصف انطلاقا من مراكش[3]، بدأ القائدان الهجوم على تيكورارين قبل توات فتوجه مباشرة الي تيميمون وكان رد أهلها على طلب الاستسلام الرفض[4]،فقال الفشتالي :" فاساءوا الرد ولاذوا بالمنع واستعدوا للحصار وسولت لهم أنفسهم القدرة على الدفاع " [5].

تجمع أهالي تيكورارين القريبين من تيميمون لرد الهجوم عن المدينة ، الا أن القائدان أصرا على اخضاع المدينة بالقوة ،فأحاطا المدينة بقوتهما التي نصبت المدافع نحو المدينة [6]، ووصف الفشتالي الحادثة بقوله :" فزحفوا اليهم حينئذ من ساعتهم وأحدقوا بهم في معتصمهم، ونصبوا عليهم مدافع

،للمزيد أنظر :محمد حوتيه: مخطوطات اقليم توات ،حولية المؤرخ ،اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، عدد1 ،2002،ص ص220،219.

[1] –الناصري: المصدر السابق،ص98.

[2] –الافراني : المصدر السابق ،ص87.

[3] –أحلام أولاد العيد: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى بعد وفاة أحمد المنصور(1012-1069هـ/1603-1659)،مذكرة ماستر تاريخ حديث ومعاصر، اشراف: صالح بوسليم ، جامعة غرداية ،غرداية،2012-2013.

[4] -عمار بن خروف : مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال القرن 10هـ/16م ،حولية المؤرخ ،اتحاد المؤرخين الجزائريين ، الجزائر ، عدد1،2002، ص 170.

[5] - الفشتالي : المصدر السابق ،ص 76.

[6] -عمار بن خروف : الرجع السابق ،ص170.

النار وقد كانوا استجروها اليهم من الحضرة وزجروهم بحصى السماوي منها ، وألحوا بالحرب على أسوارهم ، ودلفت اليها الأجناد ، وتنادوا بشعار النصر، وتهافتوا على البلد.....ولم تمض منهم طائفة حتى اقتحموا عليهم البلاد غلابا و تناولتهم السيوف وانطلقت أيدي العساكر بالنهب والعبث في المنازل حتى ارتفع النداء بالأمان " [1].

ثم عادت القوات السعدية بعد ذلك الى الشط توات التي أجل غزوها واخضاعها واستمر أهله في الامتناع عن الخضوع [2]، " فامتنعوا من القاء اليد حتى اقتحمت عليهم العساكر معتصمهم غلابا من بعد أن فاء فئ النهار ، وتبارى جيش الأسل ، وجيش النار في تناول راية السبق ، واحراز الخصل في اقتحام القصبة .....فلم تبق منهم ولا من حيوانهم ، وسائر من يدب على الأرض من نعمهم ودوابهم عين تطرف فأطبق على الجميع تيار الهلكة ، فأصبحوا مثلا في الغابرين ، وعادت منازلهم بلا قع كأن لم تغن بالأمس "[3] .

عمل الاهالي على انتهاز الفرص للتخلص من سيطرة السعديين و استرداد حريتهم ، مما استوجب من السعديين اعادة الكرة لإخضاع الاقليم ، أما وقف أتراك الجزائر من هذه التحرشات المغربية على الأراضي الجزائرية ففي الفترة الأخيرة من القرن 16م قامت عدة تمردات ،تطلب اخمادها وقتا وجهدا كبيرا مما جعل حكام الجزائر ينشغلون عما كان المنصور يقوم به في الجنوب الغربي للجزائر [4].

[1] -الفشتالي :المصدر السابق ،ص 76.

[2] -عمار بن خروف : المرجع السابق ،ص 172.

[3] -الفشتالي : المصدر السابق ،ص 78.

[4] -عمار بن خروف : المرجع السابق ،ص ص 176،177.

2-3الحملة الأولى:

انتهى الاستعداد للحملة وجرى احتفال استعراضها يوم الاثنين 16 ذي الحجة 998هـ[1]/25أكتوبر1589م بوادي تانسيفت وقد تعمد المنصور ألا يقتصر الاحتفال على وداع عادي يدوم يوما بل أطال المدة ليحقق هدف تعلق بالعامل النفسي [2]،فذكر فشتالي:"وانجفلت الدهماء لمشاهدتهم وغصت بهم فوهاء الشوارع واسترسلوا في مذاهب الاعجاب لكثرة ما كان الناس يتحدثون بغرابة أمور هذه الحركة "[3] ، ومنها انتقل جودر باشا الى مراكش لتسوية بعض الأمور للمنصور .

1-2-3سير الحملة :

خرجت الحملة من مراكش في فاتح محرم 998هـ/10 نوفمبر 1590م وفي 24 صفر998هـ/3يناير 1591كانت الحملة قد اجتازت بلاد كتاوة ونهر درعة [4]،وفي 24 صفر

[1] -عبد الكريم كريم :المرجع السابق، ص159.

[2] -محمد الغربي: المرجع السابق ،ص217.

[3] -الفشتالي :المصدر السابق ،ص130.

[4] -محمد الغربي: المرجع السابق ،ص227

998هـ أخذو في اختراق الصحراء المغربية الجنوبية متجهين نحو لكتاوة[1] فتندوف وتغازة ثم كابارا[2] على نهر النيجر وبهذا تكون قد اجتازت ألفي كيلومتر خلال أربعة أشهر منذ خروجها من مراكش وعرفت هذه الطريق بطريق جودر[3]،فقد اثناء الحملة عدد كبير من قواتها أثناء الطريق بفعل الجوع والعطش والارهاق الا أن جوذر وصل ببقية القوات [4].

وفي فبراير 1591م وصل جوذر مع جيشه عند قرية كوبر واقتربوا من العاصمة غاو ولم يستعد أهل سنغاي للحرب لاعتقادهم أن الجيش المغربي لا يمكن أن يجتاز الصحراء [5].لهذا لم يستعدوا أهل سنغاي لهم وحين سمع الأسكيا اسحاق أخبار الحملة قبل أن يصلوا نهر النيجر بقليل أمر بطمر الآبار الا أن الأوامر لم تصل لزعماء القبائل [6].

[1] -لكتاوة: مجموعة من القصور الصحراوية ينيف عددها على الخمسين تنتشر على نهر درعة في واحة مستطيلة من النخيل تبعد عن زكورة بخمسة وخمسين كيلومتر الى الجنوب ،للمزيد أنظر، محمد حجي: الحكة الفكرية بالمغرب في العهد السعدي،ج2،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،المغرب،د،ت،ص552.

[2] -كابارا : قرية تبعد عن ميناء كابارا بثلاثة كيلومترات ، لا يتجاوز عدد سكانها الألفين يعمل أغلبهم في الميناء عمال وحمالين ، واحتوت كابارا على بعض مزارع النخيل والفواكه ،وسوق القرية غنية بمختلف السلع المحلية والمستوردة وتبذل سلطات الميناء جهودا لحماية القرية وتوفير الراحة للتجار ،للمزيد أنظر : محمد الغربي: المرجع السابق ،ص ص586،587.

[3] -عبد الكريم كريم :المرجع السابق ،ص ص159-160.

[4] -مقلد غنيمي : المرجع السابق ،ص219.

[5] -لعماري مرزقلال :المرجع السابق ،ص34 .

[6] -مقلد غنيمي : المرجع السابق ،ص 219.أنظر الملحق 06ص 111.

2-2-3معركة تنديبي :

وقعت المعركة كما ذكر الفشتالي يوم الثلاثاء في موضع يسمى "سنكي" قريبا من تنديبي [1]،أما السعدي فذكر أن المعركة كانت يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى 999هـ في موضع يقال له "تنكندبع" وهي قرب تنديبي [2]،أما الناصري فقال: "كان ذلك منتصف جمادى الأولى من سنة تسع وتسعين و تسعمائة"[3] ،والافراني ذكر أن المعركة جرت في السادس عشر من جمادى الأولى عام تسعة وتسعين وتسعمائة [4]،وقال المؤرخ محمد الغربي أنه في نهاية شهر مارس 1591م استولى جوذر باشا على بعض المدن دون مقاومة من بينها مدينة بوريم وبعدها مر بثلاث قرى من الغرب الى الشرق وهي : باركاينا وكورابيري وطوغايا ثم أخذ في السير فوق أرض صخرية في اتجاه تنديبي وتوقف جوذر على بعد كيلومترات من مكان المعركة ليصلح جيشه ووقعت المعركة في داخل غابة تسمى "تنكنديبوعو" الواقعة على بعد 35 ميلا شمال غاو ،وهي منطقة سهلية تبتعد عن ضفة نهر النيجر 1500متر [5].

دامت المعركة يوم واحد لا أكثر وذلك يوم الثلاثاء 17 جمادى الأولى 999هـ/12مارس 1591م[6]،قسم جوذر جيشه الى 6فيالق فالجهة اليمنى مرتزقة [1]والجهة اليسرى كان فيهم أندلسيين وفي الوراء كان الفرسان الذين كان معهم جوذر وكان محاط بالعبيد المسيحيين [2].

---

[1] -الفشتالي : المصدر السابق ،ص195.

[2] -السعدي: المصدر السابق ،ص277.

[3] -الناصري: المصدر السابق،ص122.

[4] -الافراني : المصدر السابق،ص94.

[5] -محمد الغربي: المرجع السابق ،ص ص 255-256.

[6] -عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص162.

أما عسكر سنغاي والذي بلغ تعدادهم ثمانية عشر ألف فارس مقاتل بقيادة الاسكيا اسحاق [3]،وكان يستعمل تقنية قديمة اسمها تقنية العصفور كانت القوات منقسمة الى ثلاث وهما الجناحان والرأس والجسد [4]،وقام بوضع ألف بقرة أمام جيشه [5]،ومجموعة من السحرة مهمتهم ابطال عمل المدافع المغربية [6].

وبدا جناحا الأسكيا بالهجوم حين كان الجيش المغربي لا يزال ينظم ولكن المدافع انطلقت فتراجع الجناحان فهاجت الأبقار وأخدت تتحرك نحو الجيش المغربي فأعطى جوذر أمر الى كتيبتين بالابتعاد فمرت الأبقار من تلك الفجوة [7]،ثم جثا الرماة على ركبهم يرمون بالرصاص ومات العديد[8] ،وعاودت المدافع القصف وبدأ الالتحام بين الجيشين ونظرا لنوعية السلاح والنظام فاءن المعركة كانت غير متكافئة ،ثم أمر جوذر جنوده بأن يلتحموا مع عدوهم بالسيوف فيما كانت المدافع تقصف أطراف

---

[1] -المرتزقة: الاسم الذي أطلق على شخص الحاصل على راتب يومي أو شهري أو سنوي من وقف حسب شروطه، للمزيد أنظر كسهيل صابان،ص207.

Thiron Mouctar bah: la bataille de tondibi,colloque international : le Maroc et l afrique subsahaienne aux de butus des temps modernes , publications de l instut
3- africainoes,maroc,1992,p263 .

[3] -محمود كعت: المصدر السابق،ص195.

1- Thiron Mouctar bah: op,cit ,p264 . [4]

[5] -محمود كعت: المصدر السابق،ص195.

[6] -الفشتالي :المصدر السابق ص 137.

[7] -محمد الغربي: المرجع السابق، ص ص257-258.

[8] - محمود كعت: المصدر السابق ،ص195.أنظر الملحق07ص112.

المكان تراجع الأسكيا الة المؤخرة ليلتحق بأمراء سنغاي[1]،فولى الأسكيا وعسكره منهزمين فبعث لأهل كاغ وتنبكتو أن يفروا الى وراء البحر وشرعوا في الهرب في قوارب فغرق كثير من الناس [2].

بعث جوذر للمنصور بخبر النصر مع هدية فيها عشرة ألاف مثقال ذهب ومائتان من الرقيق وغير ذلك ، وبهذه الكميات الوافرة من الذهب كان المنصور لا يعطي في الرواتب الا الدينار وكانت ببابه كل يوم أربعة عشر مائة مطرقة تضرب الدينار دون ما هو معه لغير ذلك من صوغ الحلي وشبه ذلك ولأجل ذلك لقب المنصور بالذهبي لفيضان الذهب في زمانه ولما وافت الوفود بالفتح سر بالخبر وأمر بتزيين الأسواق غدوة وعشية ثلاثة أيام وأتته الوفود المهنئة من كل ناحية [3]، وأنشد الشعراء قصائد منها:

هكذا تحرز العلى والمعالي وتدق الطلا بسمر طوال

وتقود السوابق الجرد أسد هيج غابها وشيخ العوالي

من كماة الهيجاة تحملها فو ق متون الجياد صم الجبال

ورماة تشب نار تلظى جعلوا وقدها جسوم الرجال

سير العزم منهم جيش نصر غمر السهل والهضاب الأعالي

وغدا يعبر الفلاة سبوحا في بحار من السراب وال

[1] -محمد الغربي:المرجع السابق،ص259.

[2] -السعدي :المصدر السابق،ص 277.

[3]-الافراني :المصدر السابق،ص95.

رعدت في الجنوب منها رعود فصبين النيران صب العزالى[1] .

اتجهت القوات من ميدان المعركة الى العاصمة غاو لاحتلالها[2]،ودخلوها في 20رجب 999هـ/23ماي1591م حيث هجرها معظم سكانها الذين فروا في قوارب ولم يبق سوى رجال الدين والعلماء والطلبة والتجار الذين استقبلوهم بحماس، ظن المغاربة أنهم سيجدون غاو العاصمة ذات مبان ضخمة ولكنهم وجدوا مجموعة من الأكواخ مبنية من الطين على مثال المباني السودانية وليس هناك أي أثر لثروة كانوا ينتظرونها بل ان سكن الملك لم يكن ليتميز عما يحيط بالقصر من أكواخ [3].

لم تكن معركة تنديبي هي المعركة الفاصلة في الصراع المغربي السوداني فهي لم تحسم الأمر بين الطرفين والملاحظ أن الأسكيا اسحاق استطاع ان يفرض على خصمه مكان وزمان المعركة [4]،الا أن المفارقة الكبيرة بين الجيشان ومستوى الاستعداد المادي والنفسي ونوعية الأسلحة كان لها تأثير كبير وبالرغم من أن جيش سنغاي كان يفوق الجيش المغربي عددا بعتاد قديم والمعركة مثلت كارثة بالنسبة لهم من حيث الخسائر البشرية التي راح ضحيتها عدد كثير وهذا حتى يسمحوا للأسكيا بالفرار [5]، فذكر السعدي :"ومات كثير من كبراء أهل الرجل يومئذ، لما انكسر العسكر ..."[6] .

[1] -الفشتالي :المصدر السابق ،ص ص156-157

[2] -الحواس الغربي : المرجع السابق ،ص44.

[3] -مقلد غنيمي : المرجع السابق ،ص220.

[4] -محمد الغربي: المرجع السابق ،ص263.

[5] -زوليخة بنرمضان : المجتمع والدين والسلطة في افريقيا الغربية مابين القرنين 5و10هـ و11و16م،ج2،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب،2015،ص ص 573،574.

[6] -السعدي: المصدر السابق ،ص 277.

بالرغم من كثرة أعداد الجيش وقلة تسليحه كان يفتقر أيضا الى الانضباط والتربية العسكرية والقدرة القتالية ،اضافة الى هذا أمر اسحاق الثاني بعد المعركة من قبائل السنغاي في القرى أن يفروا الى الصحراء مما أفقدهم القدرة على مواجهة المغاربة وعدم نصحهم بالتجمع لقيادة المقاومة [1].

عندما اعتلى الاسكيا اسحاق عرش المملكة كانت منهكة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، حاول خلال ثلاث سنوات من الحكم تدبير حلول للأزمات التي تعيشها المملكة خاصة حروب الاخوة الدموية والكوارث الطبيعة [2].

بعث اسحاق لجوذر رسالة يطلب منه الصلح على ضريبة يبذلها له كل سنة[3]،قدرها السعدي بمائة ألف ذهب وألف خادم يعطيها للمنصور ويرجع الجيش لمراكش ويسلم له أرضه فبعث جوذر الى المنصور يستشره [4]،واستولت العساكر الأمامية على مدينة كاغو[5] ورست في أرضها قواعدهم [6]،وحين طال رد المنصور وسئم طول الاقامة وشكى اليه الجيش وخامة تلك البلاد واستيلاء الأسقام عليها رحل جوذر وجيشه عنها راجعا الى تنبكتو ريثما يأتيه جواب المنصور عن الصلح فخنق عليه المنصور[7] .

---

[1] -محمد الغربي : المرجع السابق ،ص ص 265،266.

[2] -زوليخة بنرمضان : الرجع السابق ، ص 576.

[3] -الافراني : المصدر السابق ،ص94.

[4] -السعدي : المصدر السابق،ص 278.

[5] –كاغو: مدينة عظيمة بعيدة بنحو أربعمائة ميل من تنبكتو الى جهة الجنوب الشرقي، للمزيد أنظر :حسن الوزان: المصدر السابق ،ص169.

[6] –الفشتالي : المصدر السابق ،ص146.

[7] -الافراني: المصدر السابق ،ص 94.

رفض المنصور الصلح وكتب لجوذر رسالة بخط يده يقول فيها:" أتمدونني بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم طاغرون" [1].

3-3الحملة الثانية :

تقلد محمد زرقون زمام الأمور وكانت مغادرة الجيش في أواخر شهر جويلية 1591م الموافق لأوائل رمضان 999هـ[2]،وأمدهم المنصور بالمال واشتمل على خراج اقليم درعة وتغازة كله وشد أزره بفاتح اقليمي توات وتيكورارين أبي عبد الله محمد بن بركة [3]،وأوصاهم بالسير ليلا فقط فالحرارة شديدة والرياح تهب بسرعة و الماء نادر في الصحراء ووصلوا الى تنبكتو في 26شوال 999هـ 17أوت1591م في سبعة أسابيع [4].

قام محمود زرقون بعزل جوذر عن امارة الجيش وأبقاه تحت أمره [5]،بدأ القائد الجديد في بناء السفن النهرية لعبور نهر النيجر [6]،وفي 25ذوالحجة 999هـ/14أكتوبر 1591م جرت معركة بين الجيش المغربي وجيش الاسكيا في سهل "بنب" شمالي النهر بين غاو وتنبكتو ففر اسحاق ولحقه محمود وهزمه مرة ثانية وفر اسحاق وعبر النهر وأوقع به محمود وفر [7]،وانقلب الشعب على الأسكيا وحاول بعض

[1] –الفشتالي: المصدر السابق، ص148.

[2] -الحواس الغربي : المرجع السابق ،ص51.

[3] -الفشتالي : المصدر السابق ،ص149.

[4] -الحواس الغربي :المرجع السابق،ص51.

[5] -الافراني: المصدر السابق،ص94.

[6] أسماء أحمد الأحمر :المرجع السسابق،ص201.

[7] -الحواس الغربي:المرجع السابق ،ص52.

قادته قتله ولكنه نجا ،فحاول الوصول الى "كب"بتشاد غير أنه وقع في يد بعض القبائل التي قتلته [1].الهدايا لهم وللأسكيا وكتب له يطلب منه المجيء بنفسه وبسرعة للتفاوض وبعد رجوع الوفد وبعد سبعة أيام اجتمع الاسكيا ومجلسه يستشرهم في أمر الذهاب فنصحه القائد هيكي بعدم الذهاب وقال له " اياك تم اياك ،فلا تذهب ، فاءن خالفت وذهبت والله لا ترجع ابدا " أما الأسكيا الفع نصحه بالذهاب ، جهز الأسكيا نفسه مع مجموعة من رجاله بالذهاب وحين وصولهم رحب بهم محمود وقام بضيافتهم و باقتراح من القائد مامي غدر محمود بهم [2]،وقيد محمد كاغ في الحديد [3]، فأخذوا مكبلين الى المرسى وعددهم ثلاثة وستون ساقوهم من تنش الى كاغ وسجنوهم حوالي الشهر ثم قتلوهم ودفنوهم [4].

بقى محمود يجاهد في البلاد عامين ثم رجع الى تنبكتو وترك جوذر في غاو وأرسل نصف الجيش الى المنصور مع هدية فيها ألف ومائتان من الرقيق والجواري والغلمان وأربعون حملا من التبر وأربعة سروج ذهب[5] .

بعد مقتل الاسكيا اسحاق الثاني تولى حكم سنغاي رئيس الديوان وهو محمد كاغ الذي نصب نفسه ملكا على سنغاي ،غير أنه وجد معارضة من قبل بعض الزعماء الذين انضموا مع رجاله

[1] -أسماء أحمد الأحمر : المرجع السابق ،ص202.

[2] - محمود كعت : المصدر السابق ،ص ص 208،204.

[3] -السعدي : المصدر السابق ،ص 286.

[4] -محمود الكعت : المصدر السابق ،ص 209.

[5] -محمدمحمود الأرواني: تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان،تح:الهادي مبروك الدالي،دار الكتب الوطنية ،ليبيا،2008،ص70.

بدورهم الى الجيش المغربي [1]، أراد محمود زرقون القضاء على محمد كاغ فجمع جيشه كله ماعدا حامية تنبكتو وقصد ميناء كبارا وهذا للاستفادة من مساندة القوة النهرية ،الا ان الأسكيا محمد رشى صاحب الميناء ففر بالقوارب وبعد مشاورات قرر محمود أن تكون المعركة في مدينة بامبا البعيدة عن تنبكتو بمائة وتسعين كيلومتر ،سار محمود مع جيشه نحو المدينة وقام بتنظيمهم وكان عددهم أربعة الاف ،وفي 14أكتوبر 1591م وصل جيش الأسكيا محمد كاغ ولم يمضي وقت قصير حتى انتهت المعركة لصالح المغاربة وفر جنود الاسكيا مع قائدهم الذي أصيب بطلق ناري فتبعهم المغاربة واسروا عدد منهم وعادوا بغنائم وأقم محمود أياما في بامبا ثم توجه نحو غاو[2] .

بعد تفرغ محمود زرقون من تصفية الأسكيا اسحاق ومحمد كاغ لقب محمود نفسه بالأسكيا غير أن أهل سنغاي رفضوه واختاروه من بينهم ملكا وهو الأسكيا نوح [3]ونصبوه عليهم في جنوب سنغاي وكانت المنطقة لم تخضع بعد للمغاربة ، وبث الأسكيا نوح روح المقاومة في المنطقة ولجأ الى حرب العصابات واستطاع أن يكبد خلال أربع سنوات خسائر فادحة [4].

تجهز محمود زرقون للحاق بالأسكيا نوح بمملكة داندي ،وظل محمود يتبع نوح الذي كان ينسحب حتى وصل محمود الى كلن التي أسكن بها مائتي رامي و أمر عليهم القائد الفتى عمار ومكث في المنطقة عامين كاملين جرت بينهم معارك كثيرة أرهقت المغاربة [5]، مما ألزم من محمود طلب الامدادات

[1] -أسماء أحمد الأحمر: المرجع السابق ،ص 202.

[2] -محمد الغربي :المرجع السابق ،ص ص 293،295.

[3] -الاسكيا نوح :وهو ابن الأسكيا داوود ، سجنه أخوه الأسكيا اسحاق ،لما هرب أخيه اسحاق بسبب الحملة خرج هو واخوته ،وكان رجلا فارسا جسيما بطلا طويل القامة جميل الوجه ،للمزيد أنظر ،محمود الكعت ،المصدر السابق ،ص 210.

[4] -أسماء أحمد الأحمر: المرجع السابق،ص 202.

[5] -السعدي: المصدر السابق، ص 288.

من السلطان وكان له ذلك ورجع زرقون الى تنبكتو في أكتوبر 1593م دون أن يقضي على الأسكيا نوح .

وفي 1595م جهز محمود جيشه وفيه أكثر من 120راميا لمحاربة نوح وخرج من تنبكتو الى أرض الحجر وهو شاطئ صخري بالقرب من هنبر(hombori) بالنيجر الأوسط غرب غاو فقتل في المعركة محمود مع أربعين راميا[1] ،وفي شهر شوال 1003هـ/جويلية 1595م واصل منصور باشا القتال مع الأسكيا نوح بجيش قوامه ثلاثة ألاف رامي وانتهت الحملة بفرار الأسكيا نوح مع جيشه تاركا ورائه العديد من السبايا[2] .

وبموت الاسكيا نوح انتهت المقاومة وبدأ عهد حكم القادة و الباشوات الذين لم يستطيعوا أن يسيطروا على المناطق الشاسعة الخاضعة لسنغاي ولا اعادة الأمن لها وكانت الفوائد هذه الحملة توقف السلطان عن ارسال الجند والمؤونة للقوات وتركهم يقررون مصيرهم [3].

1-3-3موقف السوداني من الحملة المغربية:

من بين الدوافع التي أدت الى القيام بالحملة المغربية على السودان نشر الدين والعقيدة الاسلامية الصحيحة بسبب تفشي بعض الآفات الخاطئة في المنطقة فذكر الفتاش :" ولما فسد أمر سنغي وشتت الله شملهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون بتضييع حقوق الله وظلم العباد والتكبر والشموخ الأنف، وكانت بلد كاع في أيام الأسكيا اسحاق في غاية الفسق واظهار الكبائر والمنكرات وفشوا

[1] -الحواس الغربي : المرجع السابق ،ص ص 78،79.

[2] -زوليخة بنرمضان : المرجع السابق ،ص 593.

[3] -أسماء أحمد الأحمر : المرجع السابق ،ص ص 203،204.أنظر الملحق 08ص113.

القاذورات ، حتى اتخذوا الزناة رئيسا ،ووضعوا له طبلا ويتحاكمون فيها ،وغير ذلك مما يعيب ذاكره والمحدث به ذو المروءات فانا لله وانا اليه راجعون "[1].

وذكر الفشتالي أن الجهاد من بين أهم ما قام به المنصور بقوله: " وتستشعروا ما قال عليه السلام لأن يهدي الله بك رجلا خير من أن يكون لك بها حمر النعم واعتقدوا مع ذلك ان كل من أمنتموه من عساكرنا الطالعة براياتها البيض على تلكم الأقطار السودانية ان شاء الله طلوع الفجر وكتائبنا .... ومن أجرتموه فقد أجرناه اظهار لمزيتكم واشعارا بمكانتكم لدينا ورفعة وايذانا بجليل منصبكم " [2].

لهذا لقى البعض الحملة بالترحيب بسبب الأوضاع التي تعيشها المنطقة، فوصف السعدي دخول جوذر باشا الى كاغ بالتالي:" فجاز جوذار بتلك المحملة الى كاغ ، ولم يبق فيها من سكانها الا الخطيب محمود درامي وهو شيخ كبير يومئذ والطلبة ومن لم يقدر على الخروج والهروب من التجار ،وتلقاهم الخطيب محمود المذكور بالترحيب والاكرام وأضافهم ضيافة فاخرة كبيرة ، وجرى بينه وبين الباشا جوذار كلام وحديث طويل ، وبالغ في تعظيمه واكرامه .ثم انه رام الدخول في دار الأمير أسكيا اسحاق، فأمر بإحضار الشهود فحضروا له ، ودخل معهم فيها. فلما طالعها وعاينها وعلم ما فيها حقرها "[3] .

وقد قال الشعراء في مدح الحملة ما يلي :

بمقدم وفد المنصور حل بنا البشر	وأشبعت الأرواح وانشرح الصدر
بمقدم هذا الوفد يا مرحبا به	تراقصت الأكوان وانشرح الصدر
فيا مرحبا حقا و يا بشرا به	لقد كمنا فيض كما أجبر الكسر
فأرض بها المنصور رحل جديرة	بفخر وله الامام لها فخر

[1]-محمود كعت : المصدر السابق ،ص199.

[2]-الفشتالي : المصدر السابق، ص133.

[3]-السعدي: المصدر السابق ،ص278.

تربع فوق الحمد لله ساجد ومن أوصافه التسبيح والصبر والذكر

كفا بأن الشيخ أعطاه سره نشر من بحر المحبة ناهلا

وذلك بحر ليس شربه كدر وحاز لواء سر وظاهر

وكان دوام السر ديدنه الصبر [1].

اضافة الى هذا ذكر مقلد غنيمي موقف سكان السودان بذكره :" و اكتفوا باحتلال العاصمة واستقبل المغاربة في العاصمة جاو بحماس من التجار والعلماء ورجال الدين " [2].

الا ان الحملة لاقت معارضة خاصة من قبل فقهاء مدينة تنبكتو من عائلة أقيت بسبب المعاملة التي تعرضوا لها واعتقالهم وترحيلهم نحو المغرب[3].

كما اعتبر بعض الأفارقة حملة المنصور على السودان على أنها بداية انهيار الدولة بسبب تجاوزات التي حدثت بالمنطقة وذيوع الرذيلة والخمر بين حاشية المنصور وتصرف قواد جنده ببلوغهم الدرجة القصوى من الظلم والتسلط [4]،ومن ضمن هذه التجاوزات التي شهدتها المنطقة أثناء قيادة جوذر عبر مقتل العديد من الأشخاص فذكر الفتاش :"فلما رأى أصحاب أسكي أنه أدبر وتولى لم يقف بعده أحد منهم بل اتبعوه ،سوى الذين يقال هم سونة، وهم تسعة وتسعون لم يتحرك أحد منهم وبقوا جالسين تحت تروسهم ،و أدركهم أصحاب جوذر قاعدين وقتلوهم أجمعين " [5].

[1]-الحواس الغربي: المرجع السابق، ص 48.

[2]-مقلد غنيمي : المرجع السابق ،ص 220.

[3]-الحواس الغربي: المرجع السابق، ص48.

[4]-عبد الكريم الفيلالي : التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ،ج3،شركة ناس للطباعة ،مصر ،2006،ص282.

[5]-محمود كعت : المصدر السابق ،ص196.

وهذا ما ذهب اليه السعدي بقوله :" ومات كثير من كبراء أهل الرجل يومئذ ، لما انكسر العسكر طرحوا دروقهم على الأرض وقعدوا عليها متربعين حتى وصلهم جيش جودار ،وقتلوهم طبرا على تلك الحال ، لأن من شأنهم عدم الفرار عند الانكسار .وأخرجوا أسورة الذهب التي في أيديهم "[1].

كما قام محمود زرقون في كاغو بالقتال مع السودانيين فقتل جمع كبير من العبيد وسبى العديد ، فكانوا يرفعون أيديهم يقولون:" نحن اخوانكم في الدين ، والظلمة يقتلونهم فلا حول ولا قوة الا بالله حتى قتل المخذلون جميع من بات عندهم ظلما وعدوانا وفي ذلك صحيفتهم وصحيفة رئيسهم وسلطانهم وعند الله تجتمع الخصوم ويلتقى الظالم والمظلوم "ولم ينج الا من فر للصحراء

[1]-السعدي : المصدر السابق، ص277.

الفصل الثالث

الانعكاسات السياسية والاقتصادية لحملة المنصور على السودان

1-الانعكاسات السياسية لحملة المنصور على السودان:

1-1حكم الباشوات المغاربة بالسودان:

وقعت بلاد السودان الغربي تحت حكم المغربي حوالي 1000هـ/1591م وصارت مرتبطة مباشرة بالأسرة السعدية التي كان سلاطينها يرسلون من ينوب عنهم لحكم تلك الأصقاع وقد تعاقب البشاوات المغاربة السعديون على حكم المنطقة ومن بين أهم البشاوات الذين حكموا السودان[1] :

جوذر باشا: قائد الحملة المغربية وفاتح السودان الغربي دخل مدينة تنبكتو ولم ينتهك حرمة سكانها ولم يجلي منها أحد [2].

محمود زرقون باشا:بعد قتله للأسكيا اسحاق ترك في غاو جوذر وعاد الى تنبكتو وأخذ يقتل الناس والعلماء والصالحين ويأخذ أموالهم[3] ،وعمل على ترحيل عدد كبير من علماء السودان الى المغرب[4]،وحين رجع القائد أحمد الحداد الى مراكش عن طريق ولاته حتى أتى السلطان المنصور فأخبره بما فعل الباشا محمود من تعديات فغضب السلطان وبعث القائد منصور بن عبد الرحمن وأمر بعزل محمود وحين وصوله وجد محمود زرقون توفي [5].

منصور بن عبد الرحمان باشا:(مارس1595-نوفمبر1596م)استقبله جوذر باشا دخل للعاصمة وطاف بأرجائها مع كبار الضباط ونودي الى أعيان المدينة وقاضيها فسلموا عليه وأظهروا له الطاعة ،وجرت حفلة المبايعة في 12مارس1595م ،قام الباشا منصور ببناء حديقة في العاصمة تدعى "حديقة جعفر" و أمر ببناء دار المخزن ،وفي جوان 1595م خرج منصور على رأس قوة[6] قدرت

---

[1]-مطير سعد غيث :علاقة العرش بالفقهاء والعلماء في السودان الغربي منذ عهد سني علي حتى نهاية الحكم السعدي(869-1070هـ/1464-1660م)مجلة الجامعة المغربية ،العدد13،مؤسسة الملك عبد العزيز ال سعود،المغرب،2013،ص301.

[2]-الحواس الغربي: المرجع السابق،ص96.

[3]-محمد محمود الأرواني : المصدر السابق،ص70.

[4]-مقلد غنيمي: المرجع السابق،ص233.

[5]-محمد محمود الأرواني: المصدر السابق، ص 71.

[6]-محمد الغربي: المرجع السابق، ص ص 334،335.

بثلاثة ألاف رامي ما بين أرباب الخيل والرجل والتقى مع الأسكيا نوح وسبى الباشا ما كان عند الأسكيا من ذكور و اناث ولم يلبث قليلا حتى توفي وصارت الكلمة لجوذر باشا [1]،وذكر السعدي أن الباشا منصور كان رجلا مباركا عدلا ذا حكم شديد في الجيش وأمسك أيدي الظلمة و الفسقة عن المسلمين فصار يحبه الضعفاء والمساكين ويبغضه الفسقة والظالمون [2].

محمد الطابع باشا: (نوفمبر1597-1598م) وصل بعد وفاة سلفه بسنة واختار لإقامته في تنبكتو بناية صغيرة عند السور الجنوبي وكان الباشا الجديد كبير في السن واشترك في معركة وادي المخازن كأحد قادة سلطان عبد الملك واعتقله المنصور لمدة اثني عشر عاما ثم سرحه وعينه قائد لجيش السودان وباشا عليها وكانت أول مهماته ملاحقة الأسكيا نوح الذي يوالي هجوماته على حاميات الجيش بين دندي وجبال هنبوري [3]،فنزع من جوذر الجيش الذي معه وذهب معه القائد مصطفى التركي لمحاربة الاسكيا نوح ولما وصل أنكند مات فيها يوم الأربعاء الخامس من شوال قيل أن جوذر أطعمه السم على يد الجارية نانا التركية، وحين رجوع القائد مصطفى مع الجيش أراد جوذر استرداد الجيش فتنزعا واحتكما الى كبار ضباط الجيش واستولى جوذر على الجيش[4] ، ثم توجه الجميع الى تنبكتو وعند وصول مصطفى التركي الى ميناء كبارا انفرد به أحد أعوان جوذر يدعى ابراهيم السنحاوي وخنقه وحملت جثته مع جثة الباشا ودفنا في مسجد محمد الناضي [5].

الباشا الفتى عمار :(فيفري 1599-ماي 1600م)أمر السلطان المنصور السعدي الباشا جوذر بالرجوع الى مراكش وبعث اليه القائدان مصطفى الفيل وعبد المالك البرتقالي ليكونا وكيله على الجيش والأرض [6]،وصل القائدان الى تنبكتو في نوفمبر 1598م الا أن جوذر أقنع السلطان بضرورة

[1]-محمد محمود الأرواني: المصدر السابق،ص71.

[2]-السعدي: المصدر السابق،ص307.

[3]-محمد الغربي: المرجع السابق،ص336.

[4]-السعدي :المصدر السابق،ص308.

[5]-محمد الغربي : المرجع السابق،ص336.

[6]-السعدي: المصدر السابق،ص312.

بقائه في السودان بسبب خطر السلطنات الغربية وفي طليعتها مسينا بزعامة حمد أمنة الذي نقض الحلف مع المغاربة بمؤازرة الأسكيا نوح [1].

بعث المنصور الفتى عمار باشا على راحلة دون جيش وأمر جوذر بالمجيء حتى لو كانت تلك الأرض تحترق بالنار فتجهز جوذر للرجوع الى مراكش يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان ،وعمل سلطان مالي محمود على تجهيز لغزو مدينة جيني وبعث للسلاطين لمساعدته فأجاب دعوته حمد أمنة وأخرين وبعث سيد منصور الحاكم على جيني الى الباشا عمار يستغيثه [2]،فجهز حملة عليها قائدين وهما مصطفى الفيل وعلي بن عبد الله التلمساني وصل الجنود الى مشارف دييني [3]وعسكروا فوق جزيرة رملية وسط المستنقعات تعرف باسم "رمل سانون" فأحاط الرماة وأصحاب المدفعية بالجيش وهزموهم وهرب السلطان مع حاشيته وبعدها تقدم الجيش لملاقاة حمد أمنة الذي عسكر في احدى القرى المجاورة فهجم عليه القائد التلمساني وهزمه وعندها سعى حمد أمنة للصلح أعلن بيعته للسلطان وأصبح يؤدي خراج سلطنته الى حكومة تنبكتو [4].

الباشا سليمان (ماي 1600-جويلية 1604) وصل الى تنبكتو يوم الخميس من ذي القعدة سنة ثمان بعد الألف مع جيش قوامه خمسمائة رام ،بنى دارا خارج البلد وسكن فيها فكان ذا همة عالية ورأي فائق وتدبير عجيب وحكم شديد[5] ،واليه يعود الفضل في تنظيم الأقاليم السودانية وتزويدها بإدارات مدنية فعالة ،ونظم جهاز الأمن في المدن وأوكل أمره الى الحكام وبالنسبة الى تنبكتو

---

[1]-محمد الغربي: المصدر السابق،ص337.

[2]-السعدي :المصدر السابق، ص 313.

3-دييني : اقليم يمتد من مدينة سان حتى بحيرة ديبو أما المدينة فبلغت مساحتها في العهد السعدي ما يقرب نيل ونصف وقد بنيت المدينة على الضفة اليمنى لنهر باني ويعود الفضل في بناءها الى بربر صنهاجة لتكون ملتقى طرق تجار الملح والذهب ،للمزيد أنظر: محمد الغربي : السابق المرجع ،ص ص 579،580.

4 -محمد الغربي: المرجع السابق،ص339

5-السعدي:المصدر السابق،ص314.

[1]،فكان :"لا يبيت الليل كله الا منتبها يحرس المحملة والبلد وكليهما. ولا يحدث فيهما صيحة ولا صراخ الا في سمعه وعلمه ،وما طرأ من سرقة في أي جهة الا يتبعها حتى تنكشف له ويحكم فيها بما يليق "[2] وبعد أشهر توفي أحمد المنصور الذهبي فأخفى الباشا هذا الخبر حتى اعتلاء السلطان أبي فارس [3]العرش فأرس منادي بالخبرين معا ،وعين السلطان الباشا محمود لنكو الذي أحضر معه ثلاثمائة رام وعين بعض القادة وموظفي الدولة المدنيين وكانت أولى مهماته تشييع جنازة سليمان في صفر 1013هـ/يوليو1604م[4] .

القائد مامي:جاء القائد مامي الى جيني وولى عليها عبد الله بن عثمان وأصلح أمور البلاد ورجع الى تنبكتو واستقام الحال بحيث لم يبق في تلك الناحية ما يشوش البال [5].

محمد ابن القائد حمد بن سعدون الشاظمي :رجلا مباركا ومصلحا اهتم بإصلاح البلاد[6] .

محمد ابن الحاج ابن داوود الشطوكي عرف بالقائد بوي:تولى بعد محمد بن أحمد وفي أيامه مات خلق كثير لا يحصى عدده من الأعيان وكبار الفقهاء بسبب الطاعون [7].

بعد مقتل المنصور تدهورت الحالة في السودان فصار الجنود يتنازعون فيما بينهم، وكانوا يعنون بالخصومات الحزبية أكثر من عنايتهم بمقاوم أعداء بلدهم فكثروا العزل وقتل الباشوات فيما بينهم ولم يعد بالإمكان السيطرة عليهم أو التحكم فيهم لذا بعد التقرير الذي قدم في سنة 1618 للمولى

---

[1]-محمد الغربي : المرجع السابق،ص341.

[2]-السعدي : المصدر السابق، ص322.

[3] - أبي فارس :عبد الله ابي فارس بويع في مراكش (1012هـ/1603م) ، وبايع أهل فاس أخيه زيدان فعمل أبي فارس على اطلاق سراح أخيه محمد الشيخ من السجن وبعثه لمواجهة زيدان وبهذا أصبح هناك مملكتين واحدة بمراكش وأخرى بفاس للمزيد أنظر :ابراهيم حركات : المرجع السابق ،ص 278.

[4]-محمد الغربي: المرجع السابق،ص ص 342،343.

[5]-عبد الكريم كريم :المرجع السابق،ص166.

[6]-الحواس الغربي: الرجع السابق، 97.

[7]-محمود كعت: المصدر السابق ،ص ص 233،234.

زيدان[1] والذي اتخذ فيه قرار بالتخلي عن مشروع السودان الباهظ التكاليف ،ولهذا اصبح المغاربة على نهر النيجر سادة أنفسهم وأصبحوا يختارون الباشوات والقادة بأنفسهم وعلى حسب ميولهم ويعزلوهم عند أقل هفوة ،وكان يتم اختيار الباشا من ضمن ضباط الحملة وحين بدا عددهم يتضاءل أصبح يملأ هذا الشاغر " الأرما"[2] ولهذا التعيينات التي تمت كانت تلقى في كثير من الأحيان خلافات حادة [3].

وبسبب هذا الضعف تمردت معظم القبائل والممالك الوثنية في الأطراف الجنوبية ،و الدويلات المجاورة لدولة صنغاي وتسلطهم على المسلمين لاسترداد ما فقدوه ، وقاموا بالقتل والنهب و التدمير لمظاهر الحضارة الاسلامية الأمر الذي هيأ للقوى الأجنبية التدخل بسبب ضعف والانحطاط التي تشهده المنطقة فوجدت القوى الأوروبية الفرصة سانحة لهذا .

أما الجيش المغربي في السودان فقد قضي على معظمه ولم يعد قادرا على تثبيت الأمن في البلاد ، بل أضحى يشارك في عمليات النهب والسلب في معظم المدن الكبرى ، وبالنسبة للمغرب فأبرز نتائجه تسريع القضاء على حكم السعديين واضطراب أحوال المغرب السياسية والاقتصادية [4]

[1] -زيدان : (1012-1037هـ/1603-1627م) كان أذكى أبناء المنصور الا أنه لم يكن مستقيم السلوك في حياته الخاصة كما وصف بالشدة والعنف ،كان نائبا لأبيه بتادلا وأحوازها بايعه اهل فاس بتدبير من المفتي محمد القصار و القاضيان ابن ابي نعيم و علي السلالي للمزيد انظر: ابراهيم حركات : المرجع السابق ،ص277.

2-الأرما :هو نتيجة تزوج المغاربة من نساء الطبقة الأرستقراطية السودانية وسموا بالأرما مفرد رام وهو لفظ مشتق من الكلمة العربية (رامي) وهم جنود المشاة المسلحين بالبنادق أو حملة السلاح وسموا بهذا لدقة تصويبهم للهدف ،للمزيد أنظر : مطير سعد غيث : الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، دار المدار الاسلامي ، ليبيا ،2005 ،ص337.

[3]-بوفيل :المرجع السابق،ص315.

[4]-محمد الفاجالو : المرجع السابق ، ص 321،322.

2-1ثورة تنبكتو:

كان من دوافع قيام هذه الثورة أن العلماء السودانيين كانوا يعتبرون الحملة عملا خاطئا ولا مبرر له اضافة الى قسوة الجيش المغربي على التجار وفرض ضرائب باهظة عليهم والزامهم بتقديم لوازم ومؤنة الجيش ،كما عرف العبيد مشاق كبيرة من طرف المغاربة الذين يعملون تحت رعايتهم بسبب استخدامهم للسياط ومعاقبة من يتخلى أو يتوانى عن العمل ،وفرض على تنبكتو حكم عسكري قاس فكان الحراس يجوبون المدينة من المغرب ويمنعون الناس من مغادرة منازلهم وعدم المبيت خارج المدينة[1] ،وأيضا عمل مصطفى التركي على بث جواسيسه في كل أرجاء المدينة ومحاسبة السكان على كل ما يصله من ذلك الجهاز وقد بدأت الثورة في 21 من ذي الحجة 999هـ/10أكتوبر1591م بزعامة الحكم السابق للمدينة يحي ولد بردم بمساعدة القبائل[2] ،وصلوا الى تنبكتو واقتتلوا مع القائد مصطفى التركي فقتل يحي ولد بردم وقطع رأسه وطيف به في خشبة في المدينة ونادى المنادي معه:"ياأهل تنبكتو هذا رأس منذ متاع بلدكم ومن لم يقعد عند روحه هكذا يفعل به [3]".

بعد مقتل زعيمهم على يد الحامية المغربية ظل التوتر قائما وفي مطلع شهر محرم 1000هـ/أكتوبر1591اندلعت ثورة تنبكت الكبرى[4] وتردد صوت الرصاص في الازقة ،وكان ألد كرنفل يقود فرقة في جيش المغربي أصلهم من سنغاي فهدم مور وأشعلوا النيران في الأحياء الا أنه في

[1]-محمد الغربي: المرجع السابق،ص ص 303،304.

[2]-زوليخة بنرمضان:المرجع السابق ،ص581.

[3]-السعدي : المصدر الساب، ص283.

[4]-زوليخة بنرمضان: المرجع السابق،ص581.

الأخير قتل ،وفي يوم 21 نوفمبر وقعت حادثة الجامع الكبير[1] التي اشتبك فيها السكان مع الرماة المغاربة ومات ستة وأربعون جنديا وأضعافهم من السكان المحليين وتم محاصرة المغاربة [2].

الا أن أحد قادة الجيش المغربي دبر مكيدة أوهموا الناس من خلالها بالأمان والصلح بين أهالي تنبكتو مجتمعين في مسجد سنكري [3]يتدارسون الوضع ونفذت المكيدة التي أودت الى أسر عدد كبير منهم سيقوا جميعا أسرى الى مراكش [4].

كان محمود زرقون في مدينة كوكيا[5] عندما وصلته رسالة مصطفى التركي فاستدعى مجلسه الحربي وتداول معه وقرروا أن يتم بعث القائد مامي على رأس سبعمائة من الرماة وحين وصل الى كبارا بلغه أن قاضي تنبكتو عمر[6] ومصطفى التركي قد عقد الصلح وحين أقبل العيد اتجه القائد مامي الى بيت القاضي عمر وانكب على ركبتيه وقدميه يقبلهما ورفع يديه بالتحية لمن يحضر المجلس من تجار وفقهاء ونقل له تحيات القادة واعتذر عما بدر من الجنود وسمى المعتدين منهم بالسفهاء وطلب الغفران وأقسم أن تصرفات حامية المدينة لم تكن في علم الباشا ولا صدرت بأمره وتجمهر السكان أمام بيت

1-المسجد الكبير : وهو المسجد الأول الذي تم بناؤه في تنبكتو 726هـ/1327م ، بناه المهندس الأندلسي أبو عبد الله الساحلي في الجزء الغربي من المدينة وفي خارجه توجد قبور من جهة اليمين والغرب،للمزيد أنظر: لعماري مرزقلال : المرجع سابق،ص ص 92،93. [1]

[2]-محمد الغربي: المرجع السابق،ص 307.

- مسجد سنكري: بنته سيدة أغلالية فاضلة في جهة الشمال الشرقي لمدينة تنبكتو ،قامت به نهضة ثقافية زاخرة ،حمل لواء الوعظ والارشاد ودرست به مختلف العلوم ليتطور الى أكبر جامعة في مجال التعليم العالي في السودان الغربي كله مما جعله يشبه [3]معظم الجامعات الكبرى ، للمزيد أنظر: لعماري مرزقلال : المرجع السابق ،ص ص 94،95.

[4]-زوليخة بنرمضان: المرجع السابق،ص582.

5-كوكيا :ظهرت القرية في عهد غانا ثم اتسعت بسبب التجار اتخذتها سنغاي عاصمة لها ثم أخذت غاو مكانتها الادارية والتجارية ، وعندما وصل السعديين كانت عبارة عن ميناء صغير اتخذه محمود باشا لتحرك اسطوله باتجاه الجنوب ، للمزيد أنظر: محمد الغربي : المرجع السابق ،ص 585.

-أبو حفص القاضي عمر: برع في علم الحديث والسير والتواريخ و ايام الناس ، وأما الفقه بلغ الغاية القصوى فيه ، للمزيد أنظر: [6]السعدي: المصدر السابق ،ص153.

القاضي مسلحين فخرج القاضي مع القائد مامي وهدئ من روع السكان وصاح القائد مامي قائلا :"الله ينصر مولانا أحمد" و رددت كل المدينة الشعار أياما ولإثبات صدق نية مامي قام بقطع رأس جندي مغربي صادفه يسرق وأمر بأن يطاف به في المدينة[1] .

2-الادارة المغربية بالسودان الغربي:

اتخذ الباشوات المغاربة من تنبكتو عاصمة سياسية وادارية بدلا من غاو ويرجع هذا الاختيار الى عدة أسباب منها بعدها عن مناطق الحروب والفتن والعوامل الطبيعة التي تزخر بها المنطقة وتوفر الشروط الصحية بها اضافة الى أهميتها كمدينة علمية ، وقد قسمت المناطق السودانية الى عشرة أقاليم منها :تنبكتو وجيني وغاو ودندي واقليم ديرما الذي يقع شمال غرب جيني وحدوده الشرقية هي الضفة اليسرى لنهر النيجر ،و اقليم رأس الماء ويقع بين تنبكتو وجيني باتجاه الشمال الغربي وقاعدته قرية رأس الماء ،و اقليم بامبا تقع شرق اقليم تنبكتو اتجهت الأنظار اليها لإشرافها على الطريق النهري والبري المتجه نحو الشرق ،واقليم كورما يقع للغرب من غاو على الضفة اليمنى لنهر النيجر ،واقليم كبي يقع الى الشرق من دندي ،واقليم اروان يقع في الجهة الشمالية الغربية من المنطقة وبهذا سيطر المغاربة على السودان ما بين دندي شرقا والمحيط الأطلسي غربا وتغازا شمالا وبلاد الموسي جنوبا[2] .

2-2الجيش:

أوجد المنصور بالسودان ادراة خاصة لا تخلو من التأثيرات التركية فأطلق على الحكم لقب الباشا و تم الفصل بين السلطة الادارية والعسكرية لتنظيم البلاد ونشر الأمن و الاستقرار في كل المجالات وحرصا منه على التبعية السياسية وعدم استبداد الولاة بالمنطقة.

وفي عهد المنصور تولى الحكم بالسودان سبعة باشوات هم :جوذر ،ومحمود زرقون، ومنصور باشا ،طابع باشا ، والفتى عمار، سليمان باشا منهم من تولى الادارة ومنهم من جمع بين الادارة ورئاسة الجيش مثل جوذر و عمار و سليمان وكان ينوب عنهم قائد أو والي في بعض المدن ،واتخذ

[1]-محمود كعت: المصدر السابق، ص 213.

[2]- مطير سعد غيث أحمد : المرجع السابق،ص ص334،332.

هؤلاء الباشوات مدينة تنبكتو عاصمة لهم نظرا لموقعها الاستراتيجي وقربها من معظم الحواضر الهامة [1].

كان الجيش المغربي في السودان في بداية الأمر مكون من أغلبية أندلسية وعلوج [2] وفرقة من عرب الصحراء كانت تعد بألف وخمسمائة على رأسها قائد عربي وحيد في السودان وهو أحمد الحداد وفي 1592م تم استبدال الفرق بتشكيلات مغاربية خالصة من ماسة[3] و حاحة[4] وشراكة وعرب الجنوب والمصامدة [5]وبربر الأطلس وبهذا ازداد عدد المغاربة في جيش السودان ،وقد أمر الباشا سليمان الأمين الحسن بن الزبير بتنظيم الجيش الذي أصبح على النحو التالي :

سرية أهل فاس: وتضم الشراكة وجشم والمصامدة وبربر الأطلس وتعطى اليها الأسبقية على غيرها من الفرق حيث يكون وقوفها أو تحركها وانتظامها .

سرية أهل مراكش: وتضم حاحا وماسة وعرب المعقل وتأتي بعد الأولى في الرتبة ويكون مكانها على اليسار[6] .

---

[1]-عبد الكريم كريم : المرجع السابق،ص169.

[2]-الناصري : المصدر السابق ،ص163.

[3] --ماسة : اسم نهر ينبع من الأطلس الصغير ويصب شمالي تيزينت، وتقوم على مجراه الأسفل قرى كثيرة أشهرها رباط ماسة قرب المصب ، ويقال ان عقبة بن نافع الفهري وصل لهذا المكان في حركة الفتح الأولى وأسس به مسجد اتخذا رباطا ، للمزيد أنظر:محمد حجي :المرجع السابق ، ص574.

[4] -حاحة :موطنها يتصل برجراجة في بسيط ينعطف ما بين ساحل البحر و جبل الأطلس الى السوس الأقصى و يطلق اسم حاحة على كامل بلاد رجراجة مما وراء تانسيفت من الجنوب ، للمزيد أنظر :محمد ابن أحمد العبدي الكانوني :أسفي وما أل اليه قديما وحديثا، د،د ، د ،ب ،د ،ت ،ص 27.

[5] -المصامدة : من البرانس نسبة الى مصمود بن يونس وهم من أكثر قبائل البربر و اوفرهم عددا ، موطنهم في الجنوب المغربي يحدها نهر الربيع و بلادهم تمتد الى اخر الصحراء ومن جبل درن الى المحيط الأطلسي ، ومصامدة الجبل هم سكان جبال الاطلس ، للمزيد أنظر : محمد ابن أحمد العبدي الكانوني : المرجع السابق ، ص ص 14،15.

[6]-محمد الغربي : المرجع السابق ،ص 374.

سرية العلوج: وتضم خيالة الاصبايحية وتقف على يمين قلب الجيش .

سرية الأندلسيين :من الفرسان والرماة والراجلين وموقعها في يسار القلب .

وفرقة أخرى تضم العبيد تدعى "لوغا" أو "الغاط" ويختار الباشا رئيس الفرقة من بين شيوخ سنغاي[1]، ويعين الباشا أو الأمين على رأس كل سربة كاهية وتتوزع من حيث التنظيم كالآتي :

الفرق :

فرقة المشاة :وهي فرقة راجلة وتتميز بكثرة عددها.

فرقة الخيالة :يقاتلون على الخيل وهي قليلة العدد.

فرقة المدفعية والمنجنيق: وهي تتقدم باقي الفرق.

أما الأسلحة تمثلت في البنادق والمدافع والسيوف [2]،وبالنسبة لحماية المدن ضد الهجومات الخارجية فكانت تقيم حاميات عسكرية في قلاع وحصون اضافة الى وجود حاميات أخرى في مناطق الخاضعة للمغاربة وتحرص على تأمين المواصلات وتوطيد الحكم وحماية المناجم المستغلة في السودان .

وخلال حكم المنصور للسودان عمل على ارسال القوات المسلحة المغربية الى تنبكتو وتفاوت عددها نظرا للظروف الداخلية وقد تمكنت القوات المغربية من إخضاع أهم الأقاليم السودانية وجعلها تحت سيطرتها [3].

3-2القضاء :

لعب القضاء دورا بالغ الأهمية في عهد الدولة السعدية حيث كان اختيارهم يقع في الغالب على أساس ثقافة فقهية واسعة [4]، كما أن القضاء في المدن والقرى المهمة التي تتوسطها قبائل كبيرة يتولاه

---

[1]-نفسه ،ص 375.

[2]-الحواس الغربي :المرجع السابق،ص75.

[3]-عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص ص 170،171.

[4]-ابراهيم حركات : المرجع السابق ،ص 342.

أكابر الفقهاء بطلب من الملك نفسه، ويمتد نفوذ قاضي المدينة لبعض ضواحيها وأحيانا الى اقليم بأكمله، ويسمى كل من قاضي فاس ومراكش والمحمدية بقاضي الجماعة [1].

كانت مسؤوليات القضاء محترمة لا تتدخل فيها السلطة التنفيذية ،ويعتبر قضاء المظالم أعلى مستويات القضاء في الدولة يمارسه الملك مع وجود ديوان للمظالم مهامه ادارية أكثر منها قضائية حرص المنصور على ترأس مجلس المظالم في مقصورة جامع القصبة الكبير بمراكش وما كان يتخلف عن مهمته حتى في أيام اجتماع الديوان ،وكان اذا انتقل الى فاس حضر مجلس المظالم الذي تساهم فيه شخصيات فقهية وقضائية هامة ومع هذا أنشاء المنصور لجنة للمراقبة تتولى النظر بصفة دورية الى مجرى القضاء بالأقاليم و تقدم له تقارير يدرس من خلالها سير الأحكام والادارة بمملكته[2] .

أما السودان فكان يعين بها قاضي القضاة الذي يقيم بتنبكتو ويشرف على سائر المنطقة[3] ، وأول قاضي عين بعد الحملة هو أبو جعفر العاقل الصنهاجي وهو مواطن سوداني وكان تحت امرته سائر قضاة السودان ، كما أدخل المنصور في السودان مجلس استشاري له تنظيمات واختصاصات محددة سماه بالديوان يجتمع أيام السبت والاثنين و الأربعاء[4] .

ظل القاضي هو الحكم الوحيد في حل الخلافات التي تنشب بين التجار وسكان البلاد ومنزله يعتبر مقر محكمته فيجلس وحوله تلامذته وخدامه ويأتي اليه الناس بدعاوي والنوازل ليفصل فيها فيضرب ويسجن و يتوعد، كما كان يتلقى بعض أحكام القضاة الأخرين فيقرها أو ينقضها اذا كانت مخالفة للشريعة[5] ، وبقيت كلمة القاضي مسموعة لدى الباشا فاءن طلب الشفاعة في الناس الا أخذ برأيه وقل ما يرد طلبه [6].

---

[1]–ابن القاضي: المصدر السابق ،ص 226.

[2]–نفسه ،ص 227.

[3]-ابراهيم حركات : المرجع السابق،ص 344.

[4]–ابن القاضي : المصدر السابق،228.

[5]–محمد الغربي: الرجع السابق ،ص394.

[6]–محمود كعت :المصدر السابق ،ص 217.

كان الجيش المغربي يدفع بسخاء للقاضي والأعوان الدينيين، فبيت القاضي يحتوي على أثاث أغلبه مبتاع من تجار أجانب ويلحق ببيته اسطبل يحتوي كل الحيوانات مع عشرات العبيد والخدم وكان يستخدم في ركوبه الخيول الأصلية الباهظة الأثمان .

اضافة الى القاضي ظهرت شخصية فقهية أخرى وهي المفتي الذي يقيم في حي سنكوري ويعمل على الفصل بين العلماء بما يعرفه من الكتاب والسنة ، وهو المفتي الوحيد بالسودان ولم يكن من حقه اصدار احكام الزامية ففي حالة نشبت بين فريقين تنازع حول نازلة الأمر لا يرفع للباشا وانما يعرض على جمهرة فقهاء ويعد محمد بغيغ[1] من اشهر المفتين.

بعد ثورة تنبكتو منع القائد مامي القاضي عمر من تعيين قاضي على مدينة دييني بعد مبايعتها للسلطان وقام القائد بنفسه بتنصيب أحد الفقهاء، وبعد ترحيل معظم العلماء السودانيين نحو المغرب قام الباشا محمود زرقون بتعيين القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمان وهو فقيه متوسط الثقافة و العلم عمره يزيد عن الخمسين سنة وبقى بمنصبه خمسة عشرة سنة[2] .

4-2أزمة آل اقيت :

كان بنو آقيت التكروريون من أهل مدينة تنبكتو وممن لهم الوجاهة الكبيرة والرئاسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا بحيث تعدد فيهم العلماء والأئمة والقضاة وتوارثوا رئاسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة[3] .

ولما فتح الجيش المغربي بلاد السودان وجدهم على هذه الحالة ، ولم يمضي حكم المغاربي طويلا حتى سئم أهل السودان حكمهم ورأوا منهم خلاف ما كانوا يعهدونه من سلاطينهم السابقين وكانت

1-محمد بغيغ : هومحمد بن محمود بن أبي بكر الونكري المعروف ببغيغ ولد سنة 930هـ/1523م بمدينة جني ،درس علوم العربية والفقه في مسقط رأسه على يد أبيه وخاله ، رحل الى الأراضي المقدسة بقصد الحج وحضر أشهر مجالس العلم بمصر حيث حصل على المزيد من العلوم ،للمزيد أنظر :لعماري مرزقلال : المرجع السابق،ص125.

[2]-محمد الغربي :المرجع السابق ، ص ص 396،397.

[3]-الناصري: المصدر السابق، ص129.

اذانهم مع ذلك صاغية لآل اقيت فتخوف المنصور منهم فكتب الى عامله محمود زرقون بالقبض عليهم وترحيلهم للمغرب[1] .

فكتب محمود زرقون الى عامله بتنبكتو مصطفى التركي لاتخاذ الاحتياطات للقبض على أفراد العائلة وفي مقدمتهم محمد الشيخ وبابا عمر سبطي الشريف أحمد الصقلي فاقتادهما الى سوق تنبكتو وقطع أيديهما وأرجلهما بالفأس وتركهما على تلك الحالة حتى الموت [2].

ومن هنا عرف أبو حفص عمر بن محمود أنه سيصيبهم ما أصاب ال صقلي، ثم أصدر محمود منشور بأنه سيجري تفتيش جميع المنازل بحثا عن الأسلحة ماعدا دور الفقهاء ،فهرب الناس أموالهم الى دور الفقهاء[3] ، بعدها اصدر منشور اخر يطلب فيه من السكان أن يهرعوا الى مسجد سنكوري لتأدية البيعة للسلطان وكان ترتيب تأديتها كالتالي :

اليوم الأول: التواتيون، الفزانيون ،الورغليون، يوم الاثنين 18أكتوبر1593.

اليوم الثاني : الولاتيون، الودانيون يوم الثلاثاء 19أكتوبر 1593.

اليوم الثالث: القاضي والعلماء الأربعاء 20اكتوبر 1593[4] .

ومر اليومان وفي الثالث حضر العلماء فغلقت عليهم أبواب المسجد ووقف الرماة على الأبواب والسطوح والطرق المؤدية للمسجد شاهرين أسلحتهم، فقبض عليهم محمود جميعا وقتل منهم أربعة عشر شخص وسجن الاخرين مع جميع أسرهم وأتباعهم ودخل ودورهم فأخذ ما فيها من أموال ومتاع وأثاث وأملاك وسائر ودائع الناس فأمضى العلماء ستة أشهر في السجن [5]،ثم أخذهم

1-محمد الفاجالو : الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال فترة (842-1000هـ/1464-1591م) ،رسالة ماجيستير في الحضارة والنظم الاسلامية ، اشراف: ابراهيم نجيب عوض، جامعة أم القرى، السعودية ،1993، ص324.

[2]-محمد الغربي: المرجع السابق، ص326.

[3]-محمد الفاجالو: المرجع السابق،ص 324.

[4]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص ص 326،327.

[5]-محمد الفاجالو : المرجع السابق،ص 326.

مصفدين في الحديد الى مراكش ومعهم حريمهم ونهبت أموالهم وكتبهم [1]، اذ يقول أحمد بابا التنبكتي[2] بأن مكتبته احتوت 1600كتاب ،ودخلوا الى مراكش في رمضان 1003هـ/19ماي 1595م فكانوا حوالي سبعين نفرا [3]،وحين دخل القاضي أبو حفص عمر دعا عليهم فقال :" اللهم كما شوشونا وأخرجونا من بلادنا ، فشوشهم وأخرجهم من بلادهم "[4].

وبعد هذه المأساة ذكر محمود الكعت الحالة التي شهدها السودان فقال :" و لما أجلاهم القوم وارتحلوا صارت تنبكتو جسما بلا روح ، وانعكست أمورها وتغيرت حالها وتبدلت عوائدها ،ورجع أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها، وساد أرذالها لها عظماءها ،وباعوا الدين بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى ، وعطلت الأحكام الشرعية ،وأميتت السنة وأحييت البدع ، ولا بقى فيها من يتمسك بالسنة ولا من يسير على منهج التقوى في ذلك الوقت..."[5] .

أثارت الحادثة احتجاج كبير في السودان والمغرب بسبب المعاملة القاسية للعلماء وتعاطف المغاربة مع الحادثة أما العلماء الباقون في صنغاي فلجأ بعضهم الى المغرب ومصر والحجاز وأخرين الى أطراف نائية في حدود الدولة وحتى الى مناطق وثنية ، ونظر لخطورة الموقف عمل محمود على تبرير أعماله بكتابة رسالة الى المنصور جاء فيها :"وليعلم أمير المؤمنين السلطان ابن السلطان مولانا ابو العباس أحمد الله ينصره ويخلد ملكه ،اننا ما قبضنا هؤلاء الفقهاء القاضي عمر واخوانه وأتباعه الا أن ظهر لنا ما في نفوسهم من عداوة السلطان وبغضه، وتحققنا أن قلوبهم مع أسكي ،وهم على كيدهم ويجمعون لهم الرجال لمحاربتنا، ومتفقين على الفساد، وبعد أن قتلوا من جيش السلطان ثلاثة وسبعين رجلا وفيه

---

[1]-الافراني: المصدر السابق ،ص 97.

2-أحمد بابا :أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت اشتهر بأحمد بابا التنبكتي نسبة لمدينة تنبكت التي ولد بها 963هـ/1556م حصل علما واسعا بفضل مطالعاته حتى فاق جميع معاصريه ونال مكانة علمية قل من نازعه فيها، للمزيد انظر : لعماري مرزقلال :المرجع السابق،ص123.

[3]-الحواس الغربي : المرجع السابق ،ص 92.

[4]-السعدي: المصدر السابق ،ص 305.

[5]-محمود كعت : المصدر السابق ،ص215.

شهادة جل أعيان تنبكتو وكبرائها على ذلك "[1]، فأجبر محمود علماء تنبكتو على الشهادة بصحتها وهددهم بقطع يد كل من يأبى فوقع العديد ماعدا المفتي محمد بغيغ [2].

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان عام أربعة وألف سرح العلماء من السجن فدخل أحمد بابا التنبكتي على المنصور ووجده يكلم الناس من وراء حجاب فقال له: ان الله تبارك و تعالى يقول :"وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب " وأنت قد تشبعت برب الأرباب فاءن كانت لك حاجة في الكلام فانزل الينا وارفع عنا الحجاب فنزل المنصور ورفع الستار[3] ، فقال أحمد بابا :"أي حاجة لك في نهب متاعي وتضييع كتبي وتصفيدي من تنبكتو الى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقي؟ " فأجابه أحمد المنصور:" أردنا أن تجتمع الكلمة وأنتم في بلادكم من أعيانها فاءن أذعنتم أذعن غيركم " [4]، فقال أحمد بابا :" هلا جمعت الكلمة بترك تلمسان وما يليها من البلدان فاءنهم أقرب اليك منا" فرد المنصور قال النبي صلى الله عليه وسلم :"اتركوا الترك ما تركوكم "فامتثلنا للحديث فأجابه ذلك زمان وبعده قال ابن العباس :" لا تتركوا الترك ولو تركوكم" العلم فسكت المنصور وانفض المجلس [5].

سرح المنصور أحمد بابا والعلماء بشرط الاقامة بمراكش ،فعمل على نشر العلم فهرع الناس اليه لأخذ منه ،ولما توفي المنصور أذن ابنه زيدان لآل أقيت في الرجوع الى بلادهم بعد أن مات معظمهم في مراكش[6]، فكان متشوقا للرجوع فقال :

أيا قاصدا كاغو فعج نحو بلدتي وزمزم لهم باسمي وبلغ أحبتي

سلاما عطيرا من غريب وشائق الى وطن الأحباب رهطي وجيرتي

---

[1]- محمود كعت : المصدر السابق ، ص216.

[2]-محمد الفاجالو : المرجع السابق ،ص 327.

[3]-الافراني : المصدر السابق ،ص97.

[4]-الناصري : المصدر السابق ،ص130.

[5]- الافراني: المصدر السابق،ص97.

[6]-الناصري: المصدر السابق،ص131.

وعز أقاربا هناك أعزة على السادة الأولى دفنت بقريتي

أبي زيدهم شيخ الفضائل والهدى وضنو بني عمي وأقرب أسوتي

وسيفي بسيف البين سل فقدهم على وهذا الموت ركني وعمدتي

ولا تنس عبد الله ذا النجد والندا فقد مد حزني فقد قومي وعشرتي

وشبان بيتي ساروا عن أخيرهم الى مالك الأملاك في وقت غربتي

فو اسفا مني وحزني عليهم فيارب فارحمهم بواسع رحمتي [1].

ولما خرج من مراكش قاصدا بلده خرج لتوديعه طلبته ثم ارتحل الى تنبكتو فاستقر بها الى ان مات سنة ست وثلاثين وألف رحمه الله[2] .

3-الانعكاسات الاقتصادية لحملة المنصور على السودان الغربي:

3-1التجارة :

حظيت خيرات بلاد السودان الغربي بأهمية كبيرة من قبل السعديين فشهد هذا الأخير العديد من التأثيرات من بينها أولا :أن الوجود المغربي في السودان هو الوحدة الادارية بين اقاليم السودان ،ففي عهد الأساكي الخمسة الذين سبقوا الحملة كانت سنغاي التي وحدها الاسكيا محمد تفرقت الى أقاليم وامارات ففي حالة الحرب والسلم كانت هناك قيود تعسفية تفرض على التجارة جعلت انتقال السلع من جهة الى اخرى صعبا وتمثلت هذه القيود في فرض الضرائب عند مداخل المدن وأخذ غرامات واتاوات باهظة لخزائن الحكام، ومع دخول المغاربة تحققت الوحدة والأمن واختفى قطاع الطرق الذين يسطون على القوافل البرية والسفن [3].

[1]- الافراني : المصدر السابق ،ص98.

[2]-الناصري : المصدر السابق ،ص 131.

[3]-محمد زروق: دراسات في تاريخ المغرب، افريقيا الشرق ،المغرب ،1991،ص ص 109،110.

وثانيا كان تزايد اقبال التجار على نقل بضائعهم من والى المغرب فتزايد عدد القوافل التي تضم ألاف الجمال التي تقطع الصحراء من الجهتين[1] .

أما الأثر الثالث تمثل في استيلاء السلطان على مناجم الذهب والملح والنحاس باعتبار أن حكم الشرع فيها يقضي بملكية السلطان لها، رابعا تحول المعاملات من المقايضة الى التعامل النقدي فذهب السودان لم يكن يذهب كله للمغرب بل كان قسم منه يدخل دار السكة في تنبكتو ويضرب مثاقيل ودنانير لم تكن تشبه في الشكل والوزن مثيلاتها بالشمال [2].

وخامسا كان عبر ادخال الموازين والمكاييل الى الأسواق على يد المغاربة وخضوعها للدقة [3]،اضافة الى تنظيم الأسواق على شاكلة ما كان يوجد في المغرب [4].

من أبرز ما قام به المغاربة هو ضبط المعاملات التجارية عن طريق تنظيم الأسواق وادخال مكاييل وموازين جديدة لم تكن معروفة لديهم من قبل من بينها [5]:

الأوزان والمكاييل والمقاييس:

أرسل المنصور الى عماله في كل الأقاليم أوامر تقضي باستخدام موازين ومقاييس صحيحة وتطبيق لهذا عهد للعمال بجمع التجار بمن فيهم اليهود الذين كانوا يقيمون بتنبكتو وديني ليعملوا كوسطاء وسماسرة وحثوهم على انتخاب أمناء من شيوخ وأصحاب الرأي وهذا لحل الخلافات بين البائع والشاري قبل عرضها على الحاكم أو أمين المال المركزي أو الجهوي [6]،وقد كانت المقاييس المستعملة

[1]- محمد الغربي : المرجع السابق ،ص432.

[2]-محمد زروق : المرجع السابق ،ص 110.

[3]-محمد الغربي :الرجع السابق ،ص428.

[4]-محمد زروق : المرجع السابق،ص110.

5-بهيجة الشاذلي : العلاقات المغربية حصيلة وأفاق، سلسلة نداوات ومناظرات ،كلية الأداب والعلوم الانسانية، المغرب،ط1،2012،ص94.

[6]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص433.

في العالم الاسلامي هي أساس التعامل في هذا البلد فاستعملوا للقياس المد والذراع والشبر والقدم والأوقية والصاع وغيرها ولكل واحدة استخداماتها فالدراع :يستعمل لقياس الأثواب والنسيج

الشبر: وهو المسافة بين الابهم والخنصر

القالة: انتشرت بعد تطور الحياكة في تنبكت وجيني ويبلغ طولها 50سنتمتر

المد: يختلف من منطقة الى أخرى ويعادل 44حفنة من الذرة المسماة بكاجات [1].

الصاع :وهو يساوي أربعة أضعاف المد

الميل : وهو وسيلة لقياس المسافات بصورة خاصة ،وقد قدر ب 1920مترا

الفرسخ :وهو وسيلة لقياس المسافات الطويلة ، وساوي ثلاثة أميال أي 5760مترا[2] .

ان الضوابط التجارية التي طبقها المغاربة على المعاملات التجارية كانت الزامية وتخضع للمراقبة، فكان للذهب والصوف والحرير والحبوب والثياب موازين ومكاييل غير أنها لم تكن موحدة في كل بلاد سنغاي[3] .

ففي مدينة جيني أدخل الرماة المغاربة بعض الموازين من ضمنها :

الكوري الكبير : 165.5غرام ، الكوري الصغير:133.5غرام ،الكوري الكبير للجول:161غرام،الكوري الصغير للجول:81.5غرام ،والأوقية :27.5غرام وأجزاءها تزن 21غرام و9غرام ،المثقال:4.5غرام .

ولوزن الحرير والتبغ والبخور :

الأوقية : 27.5غرام ،أوقيتان: 55غرام،أوقيتان ونصف69.75 غرام، ثلاثة أوقيات :85غرام، نصف أوقية :13.5غرام ،ثمن أوقية :5غرام [4].

---

[1]-بهيجة الشاذلي : الرجع السابق ،ص ص 95،96.

[2]- سعد مطير غيث أحمد : المرجع السابق ،ص 356.

[3]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص433.

[4]-بهيجة الشاذلي : المرجع السابق ،ص96.

أما الصرف في تنبكتو في العهد السعدي فهو ما يقابل المثقال الذهبي الواحد من ألاف الكوري والذي كان يتحدد موسميا من طرف الأمين ثم يبلغ للمدن الأخرى للعمل به ،وكان المثقال الذهبي هو الذي تقدر على أساسه أسعار البضائع والعبيد و مختلف المزروعات وكان المثقال يساوي 72 حبة من القمح المتوسط ويأتي بعده الدرهم الذي كان يعادل سبعة أعشار المثقال ،ثم الدينار ويساوي أربعين درهما ،ثم الأوقية الفضية وكان وزن الواحدة 33غراما ،أما القرى والمناطق النائية فكانت تتعامل بالودع[1] .

كانت مراقبة الأسعار ومحاربة الغش من مهمات الأمين وشهدت أسعار العبيد تقلبات تبعا لفترات الحرب والسلم الرخاء والقحط [2]،وكان هناك أصول متعددة لهؤلاء الرقيق ،فهناك من كانوا أرقاء بالفعل بالسودان ممن أسروا أثناء المطاحنات التي كانت تجري بين القبائل السودانية ،وهناك من أسر في المعارك التي دارت بين المغاربة والسودانيين وأرقاء بحكم المولد وهم معروفين ،غير أن عملية نقل العبيد الى المغرب لم تكن تجري بدون انحرافات فقد كان بعض تجار الرقيق السماسرة يعممون هذه التجارة على طائفة كبيرة من السودانيين بدون مراعاة لأصولهم الاجتماعية [3].

تنظيم الأسواق :

أصبحت الأسواق بالسودان لا تنعقد الا بحضور الأمناء والموثقين والمترجمين يتم تعيينهم بالمراكز التجارية الكبرى كتنبكتو وجيني وكاغ، و الاعلان عن افتتاح السوق باسم الأمين وأمناء الحرف بعد صلاة الفجر ويساعد الأمناء أعوان لمكافحة الغش وردع محاولات الإخلال بالنظام وأخضعت الأسواق اليومية والأسبوعية والموسمية لنظام خاص يراعي الأمن وتنظيم السلع ويخصص لكل تجارة رواق خاص بها[4] ، وقد قدر أنه يصل للمغرب سنويا 400قافلة مجموع جمالها 140ألفا محملة ب

[1]–محمد الغربي: المرجع السابق،ص434.

[2]–محمد الغربي: المرجع السابق ،ص 434.

[3]–محمد زروق :المرجع السابق ،ص ص14،15.

[4]–بهيجة الشاذلي : المرجع السابق ،ص 95.

22.400طن من البضائع ،أما ميناء كبارا فوصلت حمولته 26.500طن وكان عدد السفن من حمولة 25الى30طن بالمئات وقد بقيت التجارة بين السودان والمغرب نشطة الى أن أوقفتها القوى الأوروبية بعد احتلالهم للسودان [1].

2-3الزراعة:

كان أغلب سكان السودان في عهد سنغاي فلاحين ،وكان العبيد يعملون في مزارع النبلاء والتجار ،و كانت الفؤوس والمحاريث الخشبية هي عدة الفلاح في تعامله مع أرضه ،غير أن فلاحي السودان تعلموا أساليب زراعة متقنة كحجر المياه للري واستعمال الأسمدة من بضعة فلاحين جلبوا من توات للعمل في مزارع الأسكيا محمد ،أما المحراث الذي استخدمه فلاحو ولاته فأدخل للسودان بداية القرن السادس عشر [2].

ومن بين المنتوجات التي أدخلها المغاربة للسودان :

القمح :اتسعت خاصة على ضفاف نهر النيجر وفي المناطق التي وصلت اليها القنوات التي حفروها في جهات واسعة داخل هذا البلد[3] .

الأرز: عرفت المناطق الغربية نوعين من الأرز أحدهما قصير منتفخ والأخر طويل ورقيق ،واستعملوا قشوره وقشه في صنع الطوب الى جانب التراب للبناء أو تقوية أرصفة الموانئ .

الشعير :اقتصرت زراعته على الواحات الصحراوية ،وكان الأعراب ينقلون أحماله الى أسواق المدن السودانية [4].

[1]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص444.

[2]-محمد الغربي : المرجع السابق،ص ص472،471.

[3]-بهيجة الشاذلي: المرجع السابق ،ص89.

[4]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص483.

القطن :كانت زراعته محدودة في السابق واجتهد المغاربة في تحسين جودته وأنواعه والاعتناء بحقوله ،حتى اصبح من أكبر المنتوجات الزراعية في عهدهم ،اذ تتم صباغته بألوان مختلفة منها زرقاء وخضراء وسوداء خاصة في جيني التي ازدهرت فيها هذه الزراعة [1].

الخضار :عرف السودان أغلب أنواع الخضار مثل :البصل والثوم واللفت والفلفل وقد جلب المغاربة الى مزارعهم في تنبكتو وغاو وأضافوا منتوجات لم تكن معروفة من قبل القرع الصغير والبقدونس والبقول ،وكانت أثمان الخضار متدنية حيث كان الاقبال عليها ضعيفا.

التبغ :أدخله الأفارقة الى المغرب وبقى التبغ يشكل واحدا من أهم الصادرات الافريقية ومن المزروعات التي أقبل المغاربة على زراعتها في جهات غاو وشرق تنبكتو ،وخضعت زراعته لمراقبة شديدة بسب الضجة الكبيرة في المغرب حول تحليله وتحريمه [2].

الكولا : وهي شجرة قصيرة تنمو في جهات الحارة الرطبة على ارتفاع يتراوح بين 200و300متر ،وتعطي نبته أولى ثمارها بعد عشر سنوات من غرسها[3] ، فكان الجيش المغربي لا يخرج للحرب الا بعد أن توزع عليهم حبوب الكولا والمجالس لا تقام الا بحضور هذا المادة ،وهي تعد من أهم صادرات السودان الى المغرب وتم زراعتها في كاغ [4].

قصب السكر :أدخله المغاربة وزرعوه في الأماكن المرتفعة الجافة المتوسطة الأمطار بالقرب من نهر النيجر، وكانت زراعته من اختصاصات هاجرين الأندلسيين ،ولكن لم يقع استخراج مادة السكر من قصب لأن هذه المادة ظلت دائما على لائحة الواردات [5].

---

[1]-بهيجة الشاذلي : المرجع السابق ،ص 91.

[2]-محمد الغربي :المرجع السابق ،484.

[3]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص485.

[4]-بهيجة الشاذلي : المرجع السابق ،ص 90.

[5]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص 486.

اضافة الى هذه المنتجات الزراعية عمل المزارعين على تربية الأغنام والماعز والبقر والدواجن كما اهتموا بالصيد البحري [1]،وجلب المغاربة سلالات جديدة من الماعز وكلاب الحراسة وأنواعا من الجياد الأصلية التي لم تكن معروفة في المنطقة ولم تمضي سنوات حتى تناسلت الخيول الوافدة مع الخيول المحلية ، وأنجبت نوعا لا يتأثر بلدغ الحشرات القاتلة [2].

وقد وقعت في بعض السنوات مثل 1602الى 1604و1615الى 1618فيضان نهر النيجر مما أضفى خصوبة الى التربة وغطاء نباتي معتبر انعكس على زيادة الانتاج الزراعي ووجود ثروة حيوانية وسمكية هائلة[3] ،كما عمل المنصور على تنمية الزراعة وتطويرها في السودان بتحسين نظام الري واستثمار الأراضي الخصبة[4] .

3-3الصناعة :

ان من العوامل الرئيسية التي دفعت بالمنصور الى فتح السودان استغلال موارده الطبيعية وذلك لأجل أغراضه الشخصية أي أن المنصور لم يكن يخفي على حاشيته رغبته في استغلال موارد السودان لتأسيس امبراطورية واسعة الأرجاء [5]،ومن أبرز المعادن التي استغلها المنصور بعد الاستيلاء على السودان الغربي عمل على تحقيق تنمية اقتصاد المغرب فأحدث عملة ذهبية ثقيلة صارت لها قيمة دولية حتى قيل ان أربعمائة ألف مطرقة كانت معدة باستمرار لضرب الدينار الذهبي في دار السكة بمراكش ،وعم انتشار الذهب حتى صنعت منه أواني وحلي وتكاثرت بفضله المنشآت العمرانية والصناعية بالمغرب، ونشطت التجارة مع الخارج بشكل لم يسبق له مثيل، وتمكن المنصور من الحصول على الذهب عبر مصادرته من أعيان تنبكتو ومن واردات الملح [6].

---

[1]–محمد الغربي: المرجع السابق ،ص476.

[2]-سعد مطير غيث أحمد :المرجع السابق ،ص363.

[3]–الحواس الغربي: المرجع السابق ،ص108.

[4]– عبد الكريم كريم : المرجع السابق ،ص172.

[5]–عبد الكريم كريم : المرجع السابق ،ص171.

[6]–ابراهيم حركات : المرجع السابق ،ص271.

النحاس: كانت مواطنه في أكدر معروفة لدى سنغاي وأقطعها المغاربة لبعض التجار ،فكانوا يحملونها لتباع لصناع غاو وتنبكتو .

القصدير والرصاص: كان استعماله ضعيف لصعوبة معالجته [1].

أما الصناعة التقليدية والحرفية كانت تكتفي بمعالجة المواد الأولية المحلية بأدوات بدائية لم يطرأ عليها تغيير كبير حتى نهاية القرن السادس عشر ومنذ هذا الوقت ساهمت الخبرة في تحسين جودة المصنوعات وأصبح الصناع المحليين يجتهدون في ارضاء زبائنهم والسعي وراء الربح أكثر من وراء انتاجهم [2]،ومن بين هذه الصناعات :

الصناعة الجلدية :أدخل الرماة المغاربة الى تنبكتو وجيني وكاغ حرفة صناعة الأحذية للرجال والنساء مستعملين جلد الماعز والغنم [3]،وكانت الأدوات المستخدمة في صناعة الأحذية مشابهة لمثيلاتها بالمغرب وهي المقص وخمس قطع لتدليك الحذاء تدعى بالقوالب ومسامير ومطارق واستعمل طحال المواشي كغراء [4]،ويتوارث هذه الحرفة أبا عن جد وكانت تتميز هذه الأحذية بجمالية كبيرة وألوان كثيرة حمراء وخضراء وصفراء اضافة الى هذا أتقن الرماة صناعة حقائب للتبغ وهي اما عادية أو مطرزة أو أغلفة الكتب والسيوف والسروج.

صناعة الزرابي :وكانت تصنع من أصواف الأغنام و شعر الماعز ووبر الابل ، وكانت تمارس من قبل النساء ،كما عرفت المنطقة صناعة الحصير التي تستعمل كفرش للمساجد والمنازل وتصنع من نبات يشبه الديس الا انه اقوى منه وأكثر سمكا وانتقلت هذه الحرفة من الشمال الافريقي [5].

صناعة السفن :تم تسخير عدد من العبيد لصناعة السفن التي تستعمل لنقل البضائع في تنبكت وجيني ،وكانت هذه البضاعة تذر أرباح كثيرة يشترون بها الأبقار والماعز و الأغنام [1].

---

[1]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص497.

[2]-نفسه :ص497.

[3]-بهيجة الشاذلي : المرجع السابق،ص92.

[4]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص500.

[5]-سعد مطير غيث أحمد : المرجع السابق ،ص366.

صناعة الفنية :يدخل في هذا المجال تطريز وصياغة وصقل المجوهرات والاحجار الملساء ،وكان للحرفيين دكاكين يعملون فيها ويساعدهم في عملهم العبيد والأطفال وكان يطلق على أصحاب مهنة الصياغة "جام" و "غراسا" وقد عالجوا في حرفتهم الذهب والنحاس والفضة ، وكان اهل تنبكتو وغاو يصنعون الأساور والخلاخل والأطواق والخواتم والرماح المطعمة بالفضة والخناجر ، وكان أرباب الصناعة محتقرين في المجتمع بسبب الغش ولا يرضى أحد بتزويج بناته لهم [2].

البناء والهندسة المعمارية :بنى المغاربة منازل وقصور جديدة تتميز بجمالية فائقة ،تفوق منازل أهل المدينة هشة وغير صلبة وتتميز جدرانها بسمك وسقوفها المسطحة التي تستغل للنوم في الصيف وتصمد هذه البنايات لمدة طويلة أمام العوامل الطبيعية ، وهذه البنايات تقسم الى جزئين كبيرين الأول مخصص للأسياد والضيوف والثاني مخصص للعبيد والنساء والمخازن واعداد الطعام ،وهكذا عمل صناع فاس على افشاء الفن المغربي الأندلسي في حواضر افريقيا [3].

صناعة الخزف : قام بصناعة الخزف طبقة اجتماعية خاصة في المدن دعيت "المايي" وهي مكونة من أفراد قبيلة منعزلة اجتماعيا استقدمها الأسكيا داوود 1550م الى تنبكتو ونقل قسما منها الى غاو واستعملوا الخزف الأحمر في صناعتهم ، وكانت صناعة يدوية كلها رغم الأشكال المعقدة واشتهروا بإجادة صنع أوعية الطعام وقطع الزينة والتماثيل والجرار مزخرفة واستعانوا بالشمس في تجفيف مصنوعاتهم واكتسابها نضارة مطلوبة[4].

---

[1]-بهيجة الشاذلي: المرجع السابق ،ص92.

[2]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص ص 502،503.

[3]-بهيجة الشاذلي: المرجع السابق ،ص93.

[4]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص503.

الأطعمة والطبخ : طور المغاربة في السودان أطعمة ومن بينها الخبز بأشكاله والمصنوع من دقيق الأرز والمدهون بسمن البقر والماعز يؤكل بمرق اللحم واستورد المغاربة منتوجات مثل : قمح وعنب وذرة وتمر ولحوم حمراء وغيرها لم تكن معروفة بشكل واسع من قبل دخول المغاربة [1].

المصنوعات القطنية والصوفية :كان القطن عند وصوله لدكان الحياكة وتنظفه في البداية النساء حتى يصبح مؤهلا لعملية الحياكة عبر ألة النسيج التي أدخلها المغاربة وبعد الانتهاء من النسيج بوضعه في اناء يحتوي على الماء تضاف اليه الأصباغ المختلفة والقطن الناعم يتخذ منه سراويل وأغطية الرأس والقطن الخشن يخاط به برانس وعصابات ،اضافة الى الحياكة كانت هناك حرفة الخياطة والتطريز ويسمى الخياط البارع "ألفا" أي المعلم ووجد بالسودان ستة وعشرون مشغلا للخياطة يباشر العمل فيها الكبار وكلهم رجال بمساعدة بعض الأطفال [2].

اضافة الى هذا طور المغاربة حرف أخر ،كصناعة الفخار في تنبكتو وجيني وظهرت أواني تتميز بدقة صنعها ورقة سمكها وخفة وزنها تعتمد على طين الى جانب صناعة أشكال متنوعة من الأقداح و القارورات والصحون والقناديل الزيتية المزينة بطلاء أخضر وأنماط هندسية بسيطة بهيجة [3].

لما فتح جوذر السودان أرسل للمنصور " بعث بعشرة ألاف مثقال ذهب ومايتان من الرقيق "[4]،الا أن المنصور غضب وأمر بعزله وأرسل محمود زرقون فقضى على المقاومة فقال الفشتالي:"وانبسطت أيدي العساكر المنصورية في نعمته الضخمة واحتوت على ما يملك من نشب وأثاث وألات ومتاع وحرم ورقيق ولم ينج بزف نعام ولا فلت بقطمير ،نزر يسير" [5]، وذكر الافراني الهدايا التي بعثها محمود للمنصور بقوله :"وكان محمود لما استوثق له الأمر هناك بعث نصف جيشه مع هدية للمنصور فيها من الدخائر ما لا يحصى وهي اثنتا عشر ماية مملوك من الجواري والغلمان

[1]-بهيجة الشاذلي : المرجع السابق ،ص 94.

[2]-محمد الغربي: المرجع السابق ،ص ص 498،499.

[3]-بهيجة الشاذلي : المرجع السابق ،ص94.

[4]-الافراني:المصدر السابق،ص 94.

[5]-الفشتالي : المصدر السابق ،ص 167.

وأربعون حملا من التبر وأربعة سروج من الذهب الخاص ....وغي ذلك من الاشياء النفيسة ذات الأثمان الغالية " [1].

وهكذا عندما وصلت جيوش المنصور الى غاو لم تكن بمدينة انتاج الذهب ولا مركزا هاما لتجارته العابرة للصحراء ،وما ارسله جوذر ومحمود زرقون انما هو من المصادرات وليس من تجارة دائمة مستمرة مثل مصادرته لأموال الفقهاء من ال اقيت [2].

حقق الغزو المغربي لصنغاي بداية الأمر انتصار عسكري جزئي الا أنه فشل في تحقيق انتصار اقتصادي لأن مناجم الذهب والملح التي كانت الهدف من الحملة كانت خارج حدود سنغاي ، وارتبطوا بسنغاي عن طريق التجارة سلميا وبسبب الأمن والاستقرار الذي كانا بينهم الا ان حكام المغاربة ضيعوا هذه العلاقة [3].

انشغل الجيش المغربي لفترة طويلة في اخضاع سنغاي ففقد الجيش قوته وخاصة عندما قام بتدمير طرق التجارة واضطرب الأمن في البلاد فانقطعت القوافل التجارية لهذا لجأ حكام المغرب وعساكره في فرض ضرائب كبيرة واستعملوا القوة في جمعها من اهالي المنطقة ،أما التجار فلم ينج منهم احد من بطش الجنود المغاربة ولم تسلم اموالهم ولا انفسهم ولا عائلاتهم فقد قتل معظمهم ، وارجع محمود زرقون ببعض الجيش حاملا معه كبار تجار سنغاي أسرى الى مراكش وبذلك كسدت تجارة السودان وتدهور اقتصاده وغابت القوافل التي كانت تجوب الصحراء الى بلاد السودان الغربي منذ القديم وتركت الساحة للأوروبيين الذين نزلوا ساحل المحيط ،ولم يستفد المغرب ولا سنغاي من هذا [4] ، حصل السلطان المغربي على قدر بسيط من الذهب والملح السودان بسبب كثرة تكاليف والنفقات التي تكبدها المغرب وصدقت تنبؤات التجارة بان موارد الغزو العسكري لغرب السودان مهما عظمت

[1]-الافراني : المصدر السابق ،ص ص 96،97.

[2]-عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ،ص 101.

[3]-يحي بوعزيز : المرجع السابق،ص126.

[4]-محمد الفاجالو : المرجع السابق ،ص ص 334،336.

فاءنها لاتصل الى مستوى فوائد تجارة معه مما جعل السلاطين يعدلون عنه بعد وفاة المنصور في 1618 م[1].

[1]–يحي بوعزيز : المرجع السابق ،ص 127.

الخاتمة

من خلال دراستي للموضوع خلصت الى مجموعة من الاستنتاجات يمكن ايجازها فيما يلي :

-أن أصل السعديين من ينبع النخل وهم أشراف ينتمون الى أل البيت الشريف نزحوا الى المغرب بطلب من أهلها لأن ثمارهم لا تصلح حتى جيء بنسب شريف للمنطقة .

-كان للتحرشات الاسبانية والبرتغالية على السواحل المغربية وضعف الوطاسيين في مواجهتهم أن تنادى الناس الى الجهاد ووجدوا ضالتهم في الأسرة السعدية التي تولت مهمة التحصين شمالا والتوسع جنوبا .

- الصراع على السلطة داخل العرش السعدي هيأ الظروف لوصول المنصور الذهبي الى الحكم .

- قوة الدولة داخليا واقتصاديا عادة ما يسهم في فرض نفسها محليا و يذاع صيتها خارجيا ومن تم زيادة أطماعها وتوسعاتها وهو ما تجسد في حكم المنصور السعدي .

- مملكة سنغاي لم تكن باكورة الممالك الاسلامية في بلاد السودان الغربي الا أنها تعد بحق أهم هذه الممالك اقتصاديا وسياسيا ودينيا .

- ازدهار المملكة الاقتصادي وتوسع أسواقها وتعدد ارتباطاتها مع اشمال الافريقي في ظل وفرة الذهب بها جعلها مطمعا لمختلف القوى العالمية خاصة السعديين .

- أوضاع بلاد السودان الغربي الداخلية بعد وفاة الأسكيا محمد الكبير مهدت لغزوها واحتلالها خاصة في ظل صراع أبنائه على السلطة وهو ما أظهرته جل المصادر المحلية والعربية .

- الدوافع السياسية لم تكن الوحيدة الممهدة للاحتلال بل هناك جملة من الدوافع الاقتصادية والاجتماعية أغفلها كثير من المؤرخين ويأتي على رأس ذلك تغير اتجاه طرق التجارة من الشمال نحو الجنوب بظهور البرتغاليين في سواحل الأطلسي.

- اتفقت أغلب الدراسات والكتابات الافريقية والمغاربية على أن حملة المنصور كانت غزوا لبلاد السودان باستثناء مؤرخين البلاط السعدي.

- تفاجئ الجيش المغربي بالأوضاع العامة في مملكة سنغاي والتي لم تكن في مستوى تصوراتهم وطموحاتهم الاقتصادية والعسكرية والسياسية والعمرانية .

– المقاومة الضعيفة لجيش سنغاي تدل وتبرز الفارق العسكري بين الجيشين مما سهل حسم المعركة للجيش المغربي بعد موقعة تنديبي الشهيرة.

– نكبة أل قيت الثقافية والدينية أحد أهم المعالم التي رسمت التعامل السعدي ضد علماء بلاد السودان.

– نكبة أل قيت وعلى رأسهم أحمد بابا التنبكتي كانت سلاحا ذو حدين فبقدر ما تركت من فراغ ديني في بلاد السودان ، استفاد منه المغاربة في حلقاتهم الفكرية والدينية وحتى في بعض مؤلفاته التي دونها وهو في الأسر.

– خلفت الحملة أثار اقتصادية حادة على بلاد السودان ومملكة سنغاي بشكل أخص حيث عمل الباشوات المغاربة على فرض الضرائب والتضييق على السكان مقبل ذلك تخلى السلطان المغربي عن التزاماته اتجاه هؤلاء الباشوات خاصة بعد وفاة أحمد المنصور .

– اندمج بقايا الجيش في بلاد السودان وأطلق عليهم اسم " الأرما " (الرماة) حكمت المنطقة لفترة طويلة بدعم من الجيش المغربي وانحصر نفوذها في بعض المناطق فقط .

– اختلف المؤرخين في تحديد حجم الاستفادة الاقتصادية من حملة المنصور بين متحاملا على الحملة بسبب الأعباء الكبيرة التي أنفقت على الجيش المغربي بين مؤيد ومستبشر للخيرات والذهب الذي حل في الدولة السعدية.

الملاحق

ملحق 01:خريطة توضح سودان الغربي

شمس الدين أبي عبد الله اللوادي الطنجي؛ المصدر السابق، ص 254

ملحق 02 : خريطة توضح مملكة سنغاي

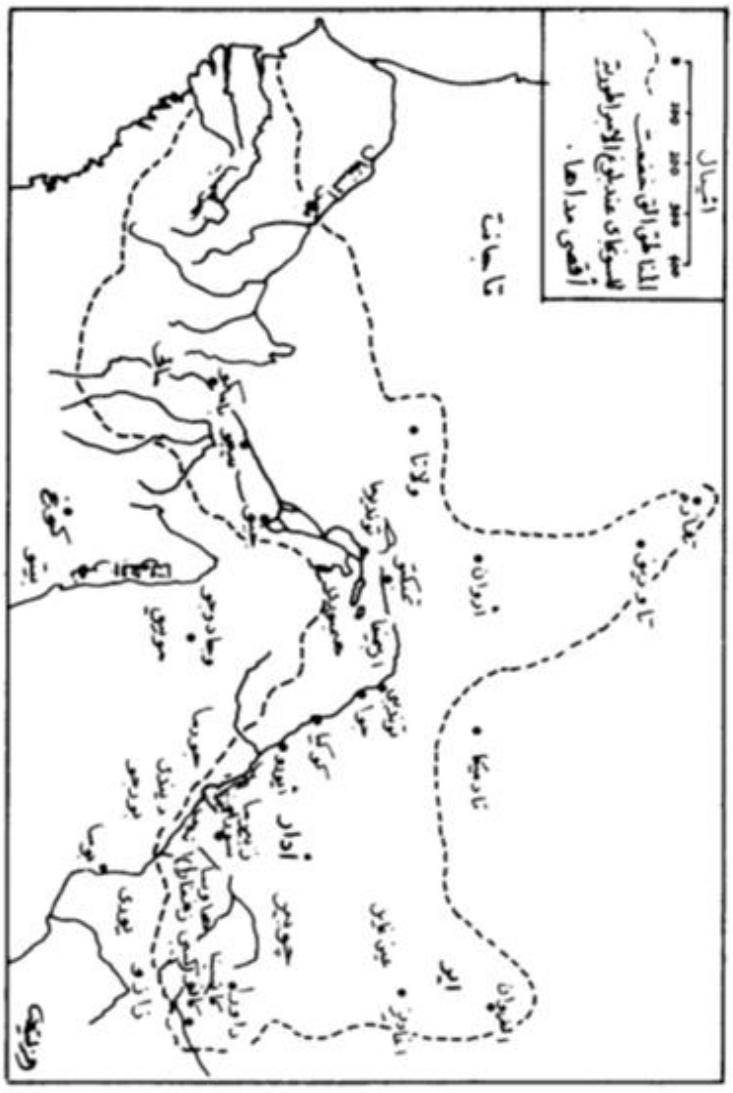

بوفيل: المرجع السابق، ص **310.**

ملحق 03 : مملكة سنغاي في القرن 16

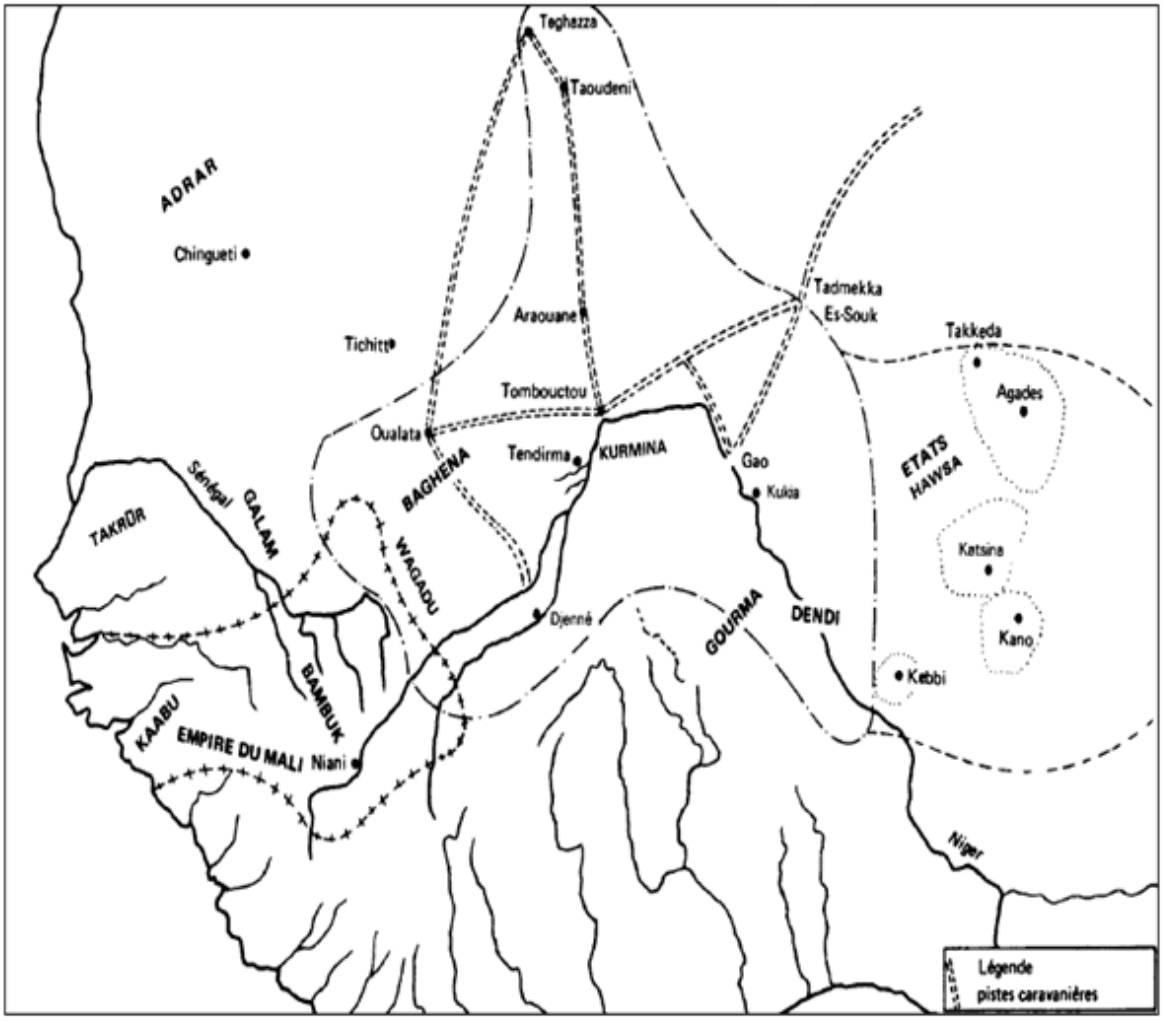

d-t niani: op,cit,p217.

ملحق 04 : خريطة توضح الطرق التجارية

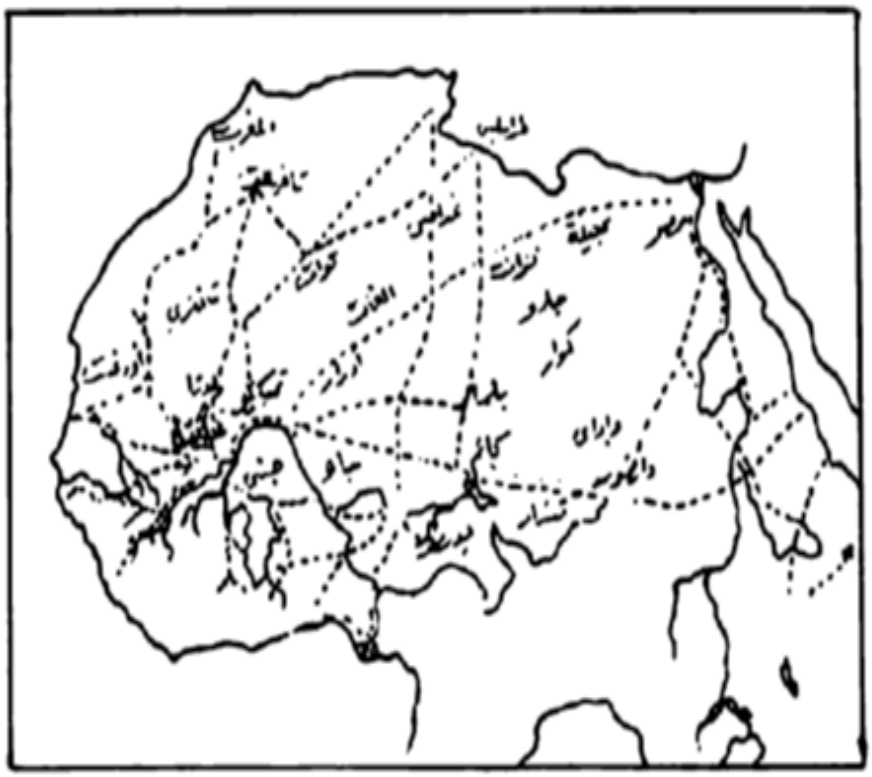

محمد سالم بازينة: المرجع السابق،ص218

ملحق 05: رسالة أحمد المنصور الى الأسكيا إسحاق

رئيس كاغوا وكبيرها والقائم بأمرها وتدبيرها إسحاق سكية بن داوود وصل الله لكم أسباب هدايته وتوفيقه وجعلكم ممن إنتمى إلى حزب هذا الجناب النبوي الكريم وفريقه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد حمدالله الذي صرف لهذه الامامة النبوية الكريمة وارثة الأرض ومن عليها وجعل زمام الأمة بيدها والنظر فيما لهم وعليهم موكولا إليها والصلاة على سيدنا ومولانا محمد المبعوث من أطيب المعادن وأشرف من تنصرف إليه الوجوه من كل ظاعن وقاطن والرضى عن آله الأئمة الاعلام خلفاء الاسلام وأصحابه الذين عزروه ونصروه بالسنان والحسام وصلة الدعاء لهذا المقام العلي الأمامي النبوي المنصوري الأحمدي الحسني الفاطمي بنصر تدور به الافلاك وتستنزل به الملائك وتخضع له الأملاك فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية وكرسي إيالتنا العلوية ومقر أمامتنا الهاشمية الحسنية مراكش حاطها الله ونعم الله على هذا المقام المنصور ضافية السربال وافية السيال والاعتناء بحفظ نظام الدين وتشييد قواعده من كاسه العنوق والاصطباح والاهتمام بمصالح الأمة المحمدية مستغرق فيه المساء والاصباح وارسال سوابق الفكر في تتبع المصالح التي تتعلق بها أعلام التوحيد على أهل الثيلث هو الديدن في الغد والرواح كل ذلك علم الله لنقدم في هذا الدين المحمدي المقام الشريف ونبرأ على أكمل الوجوه من عهدة التكليف فقد نيطت بنا التكاليف الشرعية التي لم تنط بغيرنا أي مناط وارتبطت بنا

أي إرتباط ولا مطمع في التقصى من ربقتها والانفلات من عهدتها إلا بمواصلة الجد في السالمات والانا وأعمال الحزم والعزم وترك الهوينا ومتى يقع الخلاص من أعباء عرض حملها على السموات والأرض فابت ووعدها بالثواب عليها خالق العالم فتابت فاليه سبحانه نمد أكف الضراعة في تيسير الخلاص من هذه الأثقال ومنه نستمد الأمانة التي بها تنال الآمال وغير خفي على من ذاق حلاوة الايمان وخالطت بشاشته قلبه وألقى إلى هواتف الشريعة كتابا وسنة سمعه ولبه إننا بهذه الأثقال دون غيرنا مطالبون وبأعبائها مضطلعون إذ الناس في هذا الأمر تبع ونحن المتبعون وان طاعة هذا الأمر الذي تقلدنا قلادته مفروضة على أهل الأرض وواجبة على كل من أحاط من اسياج المعمور على الطول والعرض لما إختصنا الله له من امامة الجماعة التي أوتيتها حكم الولاء والكفالة ووراثة الأرض ومن عليها لا عن كلالة وقلدنا من حماية بيضة الاسلام والذب عن أمة نبيه عليه السلام وانى لمن بهذه المنزلة أن تطرق المنزلة ان تطرق أجفانه سمة إغتماض أو يتأتى له عن رعي المصالح الخاصة والعامة صدود أو أعراض وعدو الدين إلى شق عصا الاسلام وافساد بيضته على طول المدى فأغرفاه معمور الفكر والبال فارغ مما سواه ولهذا ومن أجله لم تزل بحمد الله سهام أنظارنا السديدة إلى أهداف مصالح الأمة المحمدية مفوقة وأرونا ولا كفران لله بحوله وقوته إلى صوب الصواب موفقة نعثر منها على ما جر عليه قبل الأيام ذيل الاغفال فأسدل دونها رواق الاهمال وكلما أثرنا من مهامه الفيح قنصا وقعنا به على مهارق الاعلام والتعريف لكم ولغيركم ممن أوجب الله عليه الانصات لامرانا قصصا لتلبي في الأقطار والآفاق دعوتنا إليه المطاعة وتعطى إشارتنا به على الانام ما يجب لها من الشهرة المقرونة بامتثال والاذاعة ويشتد به أزر هذه العصابة الاسلامية وهذه الجماعة ويحصل لها به بعد سبر غوره الفرح والاغتباط ولنا ان شاء الله أجر الاشارة به عليها والاستنباط هذا وان مما وقف بنا عليه بعد إستخارة الله زائد الاختيار وسبرنا غوره من سديد النظر بمسبار وما تعاضدت شواهد الشرع على إعتباره واباحة إجتناء ثماره وانه من القلاوة التي طوقتنا دلائل الكتاب والسنة طوقها وأسالت أرواح الأذن الالاهي من سماء التمكين على أكناف ودقها وأوجبت عليكم

خصوصا وعلى الناس عموما تلبية منادينا وانهاء التعريف بالقبول لها إلى شريف نادينا وذلك هذه الملاحة المعدنية التي تضرب إليها أكباد الابل وتشد بسببها لبلاد تغازى على الدوام الاقتاب والرحال وتعمل المطي إليها الوخد والارقال وتشق البيد نحوها باحمال الثقال قد إنطوى على مصلحة لهذا الجيش الاسلامي والأسطول الجهادي الذي جعل المولى سبحانه بأيدينا زمامه وصرف بفضله إلى احياء دينه ظعنه ومقامه وشرق من أجله طاغية التثليث بريقه وضاق متسع الفضاء فرقا به وبحزبه وفريقه لا يصلح في قانون الشرع ان تقابل بالاهمال ولا يبرى من عهدته إلا البدار إليها والأعمال لما فيها من الاعانة لهذه الجيوش الاسلامية والعساكر المظفرة بالله الهاشمية الأمامية وتقوية هذه العصابة النبوية التي بها يقع الدفاع عن الملة ويحمى حماها بسيوفها المستلة وصرفها في إقامة أسطول الجهاد وفيما إعتدناه للرباط في ذات الله من الصافنات الجياد مع ما فيها للأمة المحمدية من المنفعة التي ان ضيعناها توقعنا فيها ولانا الله من أمرها تقصيرا وزجرا بارتكابها وانتهاز الفرصة فيها من عظيم فضله أجرا كبيرا وذلك بأن وظفنا زنة مثقال تبرا على كل حمل من الجمال التي تغشى هذه الملاحة للحمل على طول المدى والزمناهم ذلك ما أعقب غدا بحيث لا يوسق رحل إلا بعد إعطائه ونقده ومن تأبى فليتيقين بصده عن حملها ووردها وها نحن قد أنفذنا إليكم بما لائمة المذهب في هذه المسألة على الخصوص وما لعلماء السنة فيها من الحجج والنصوص والبراهين المحكمة كالبنيان المرصوص لتعلموا أن للأمام فيها النظر والاجتهاد وصرفها فيما يراه من وجوه السداد وبخاصة في إقامة فريضة الجهاد وتستشعروا ما لكم في إمتثال ذلك من السعادة التي تجدونها ذخرا والفلاح الذي تفوزون بليله ان شاء الله دنيا وأخرى وعرفناكم بهذا لتكونوا أول من ثني إليه أعناق الرجال وأول من أحرى الاستماع إليه والامتثال ومن شممتم منه رائحة الانحراف عن هذا الأمر العلي والازورار فقوموا اعوجاجه بثقاف الالجاء إليه والاضطرار فأنتم أحق الناس والحمد لله بحشر الناس لهذا الباب وما يذكر الا أولو الألباب .

الفشتالي: المصدر السابق، ص **123-125.**

محمد الغربي: المرجع السابق، ص **667-669.**

ملحق 06:خريطة توضح سير الحملة المغربية الى سنغاي1591

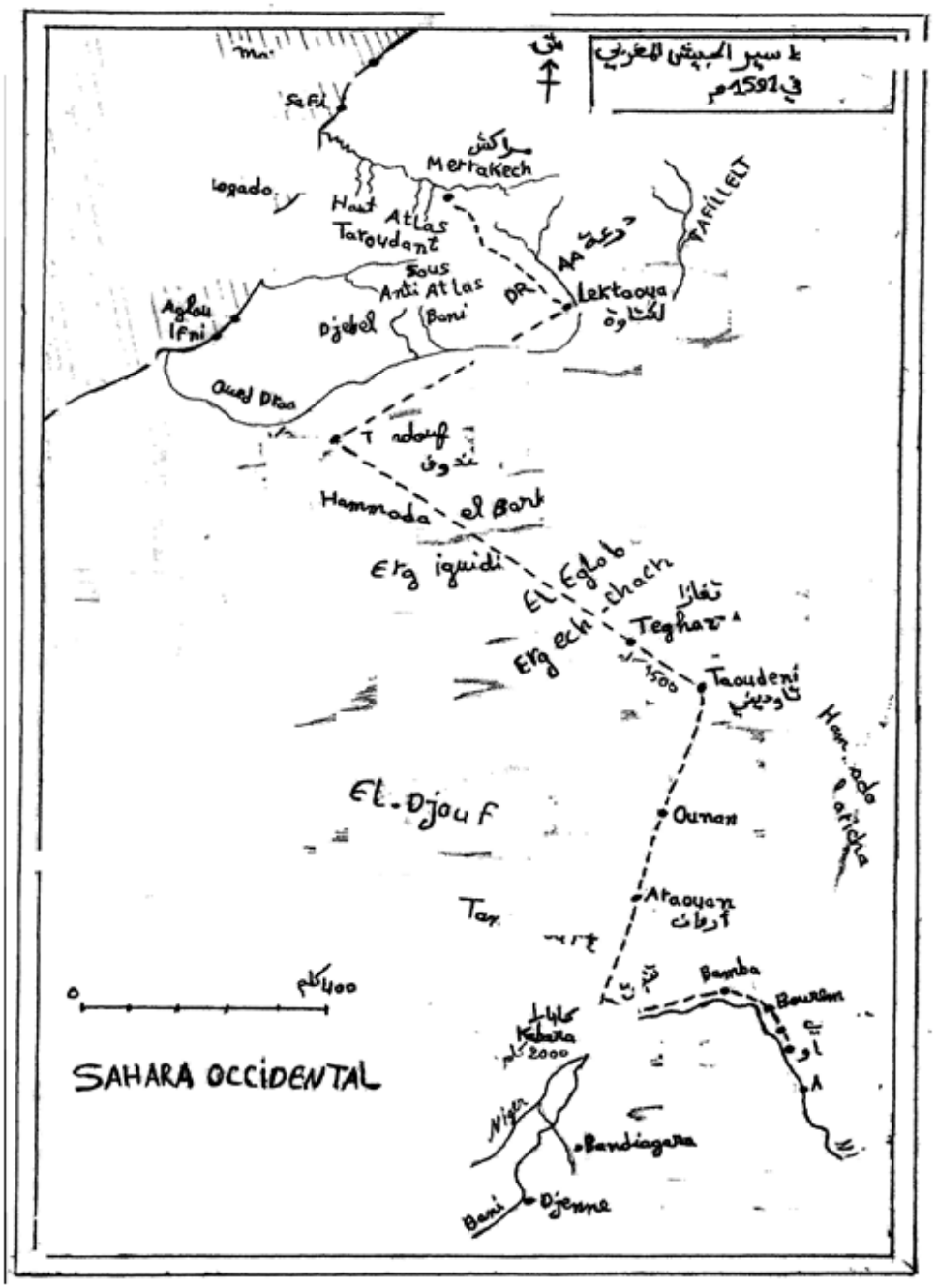

الحواس الغربي: المرجع السابق، ص **46.**

9:

ملحق 07: خريطة توضح سيطرةالجيش المغربي على سنغاي

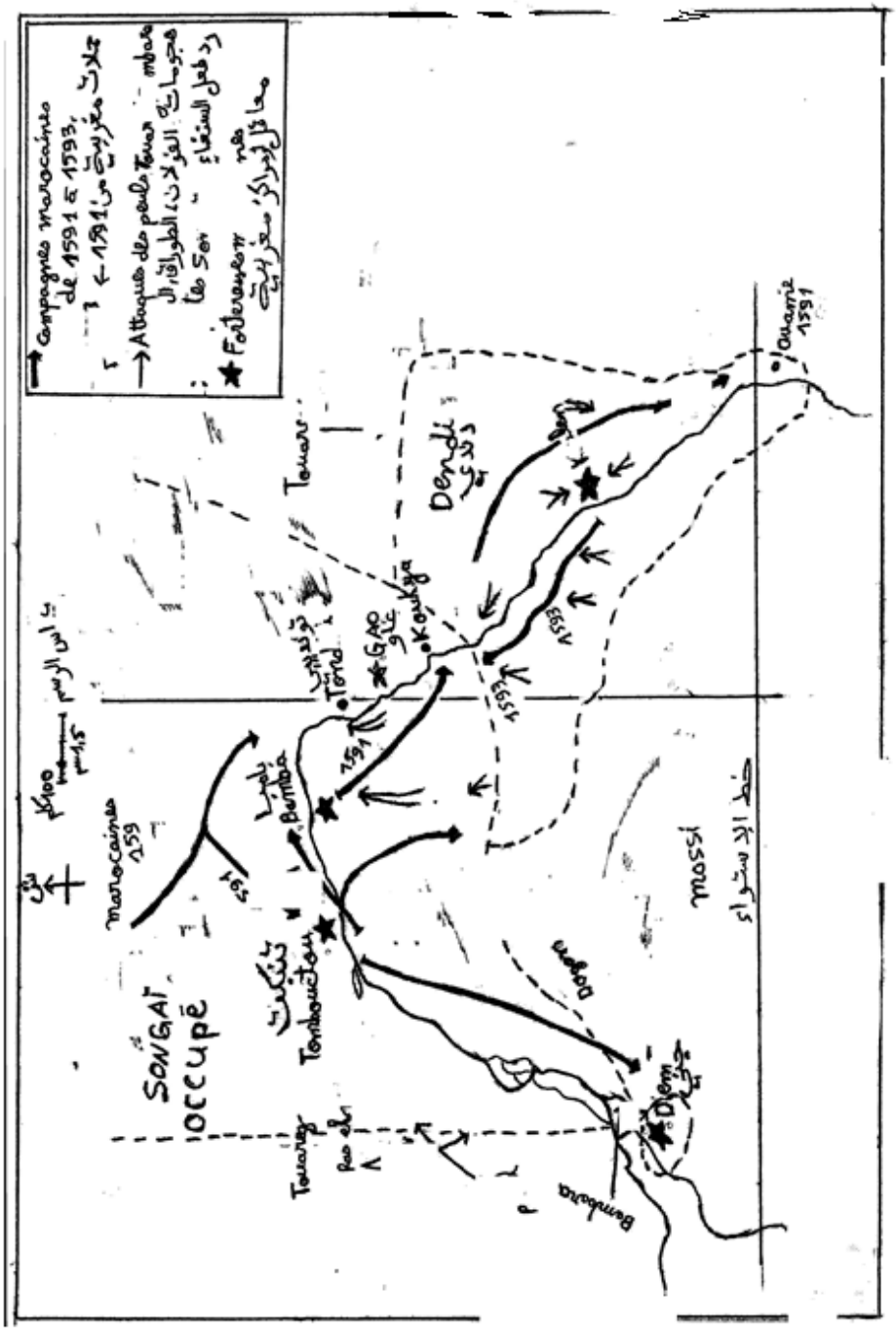

الحواس الغربي: المرجع السابق، ص **81.**

ملحق 08: جدول احصائيات لما وصل للسلطان المغربي من سنغاي

ترتيب الدفعة زمنيا	السنـــة	الكميـــة
01	بعثها الباشا جودر 1591م	10000 مثقال ذهب =47 كلغ ذهـــب + 200 عبيد[2]
02	الباشا ابن زرقون	40 حملا من التبر+ 04 ســـروج مـــن الذهب الخالص+ كميـــة مـــن العـــاج + 1200 عبيد[3]
03	الباشا ابن زرقون 1594م	30 بغـــــلا محملـــــة بالـــــذهب[4] = 100000مثقال = 470 كلغ[5]
05	الأمين القائـــد الحـــسن بـــن الزبير 1597م	عاد إلى مراكش بمال عظيم، يمثّل خراج الأرض لمدّ ثلاث سنوات[6].
06	الباشا جودر سنة 1599م	10000 عبد + 10000 جاريـــة + 04 فيلة[7]

الحواس الغربي: المرجع السابق، ص **109**.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

قائمة المصادر العربية :

1-البكري أبي عبيد : المسالك والممالك ، تح: أدريان فان ليوفن ،أندري فيري، ج2،الدار العربية للكتاب ،1992.

2-الأرواني محمد : تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وأروان في جميع البلدان ، تح: الهادي مبروك التازي ،دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، 2008.

3-الزياني أبي القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم : جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت والمرجان في ذكر ملوك واشباح السلطان المولي سليمان ،تح: عبدالمجيد ،دار الكتب العلمية ،لبنان ،2003.

4- السعدي عبدالرحمان : تاريخ السودان ، تح: حماه الله ولد السالم ،دار الكتب العلمية ، لبنان ،2012.

5-الافراني محمد الصغير :نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي ، تح : هوداس ، مطبعة أنجي ،د ب ،1888.

6- الفشتالي أبي فارس عبد العزيز : مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفاء ، تح : عبد الكريم كريم ،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية ،المغرب،1972.

7-ابن القاضي : المنتقى المقصور على مأثر الخليفة المنصور ، تح: محمد زروق ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، المغرب ،1986.

8-القلقشندي أحمد أبي العباس :صبح الأعشى في صناعة الانشاء ،ج5، المطبعة الأميرية ،مصر ،1915.

9-كاربخال مارمول :افريقيا ، تر: محمد حجي واخرون ،ج3،دار المعرفة للنشر ،المغرب،1989.

10-الكعت محمود: تاريخ الفتاش في ذكر ملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس ، تح: حماه الله ولد السالم ،دار الكتب العلمية، لبنان ،2012.

11-محمود كعت التنبكتي : المختار من تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، د،ر، تع :عبد النعيم ضيفي عثمان ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، مصر ،2005.

12-اللواتي طنجي شمس الدين أبي عبد الله : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تح: عبد الهادي التازي ،أكاديمية المملكة المغربية ،المغرب ،1997.

13-المجهول : تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية ،تح: عبد الرحيم بنحادة ،دار تيمنل للطباعة والنشر ،المغرب،1994.

14- المكناسي ابي العباس أحمد بن محمد : درة الحجال في أسماء الرجال ،تح: محمد الأحمدي أبولنوار ، ج3، دار الثرات ، مصر ، د ت .

15-الناصري أبو العباس أحمد بن خالد : الاستقصا لأخبار الدول الأقصى ،تح :جعفر الناصري، محمد الناصري ، ج5، دار الكتاب ، المغرب ،1997.

16-النصيبي أبي القاسم ابن حوقل : صورة الأرض ، منشورات دار المكتبة الحياة ، لبنان ،1992.

17-الوزان الفاسي حسن بن محمد : وصف افريقيا ، تر : محمد حجي ، محمد الأخضر ، ج2، دار الغرب الاسلامي، لبنان ، 1983.

قائمة المراجع:

1-الأحمر أسماء أحمد : الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية (869-1000هـ/1464-1591م) ،دار الكتب الوطنية ،ليبيا ،2008.

2-الأرقش دلندة ، وأخرون :المغرب الحديث من خلال مصادره ،مركز النشر الجامعي ، تونس ،2003.

3- اسماعيل عثمان :العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى ،ج 5،مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب ،1993.

4-باري محمد فاضل علي ، كريدية سعيد ابراهيم :المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة ،دار الكتب العلمية، لبنان ، 2007.

5-باري برايما عثمان :جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الاسلامي ، دار الأمين للطباعة والنشر ،مصر ،200.

6-بازينة محمد عبد الله سالم : انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء ، منشورات جامعة 7أكتوبر، ليبيا ،2010.

7- بنرمضان زوليخة :المجتمع والدين والسلطة في افريقيا الغربية ما بين 5و10هـ و11و16م ،ج2،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ، 2015.

8-بانيكار مادهو : الوثنية والاسلام تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا ،تر :أحمد فؤاد بلبع ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ،1998.

9-بوفيل : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، تر : الهادي أبو لقمة ، محمد عزيز ،منشورات جامعة قار يونس ، ليبيا ،1988.

10-بوعزيز يحي :تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين ، دار هومة ، الجزائر ، 2001.

11- بيلتو نافذ أيوب ، شاكر محمود : مالي ، المكتب الاسلامي ، لبنان ، 1986.

12–ج– هوبكنز : التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ،تر : أحمد فؤاد بلبع ،محمد عبد الغني سعودي ،المجلس الأعلى للثقافة ،مصر،1998.

13–حجي محمد : الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعدي،ج2، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، المغرب ، د،ت .

14–حركات ابراهيم ك المغرب عبر التاريخ ،ج2، دار الرشاد الحديثة ، المغرب ،2000.

16–حسن نبيلة : في تاريخ الحضارة الاسلامية ،دار المعرفة الجامعية ،مصر، د،ت.

17–أبو خليل شوقي : معركة وادي المخازن ،دار الفكر ، سوريا ،1988.

18–الدالي الهادي مبروك : التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر ،الدار المصرية مصر، 1999.

19– زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1971.

20– : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1988.

21–زروق محمد : الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين 16و17، افريقيا الشرق ،المغرب،1998.

22– : دراسات في تاريخ المغرب ،افريقيا الشرق ، المغرب، 1991.

23–زيادة نقولا : افريقيات دراسات في تاريخ العربي والسودان الغربي، رياض الريس للكتب والنشر ، انجلترا،1991.

24– سينيكي مودي سيسوكو : الصنغي من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر، تاريخ افريقيا العام ،ج4، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان ،1988.

25–شبانة كمال : الدويلات الاسلامية في المغرب ، دار العالم العربي ،مصر ،2007.

26–الصلابي علي محمد :تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي ، دار المعرفة الاسلامية ،لبنان ،2009.

27–ضيف شوقي : عصر الدول والامارات (الجزائر، المغرب الأقصى ، موريتانيا ، السودان)، دار المعارف ، مصر ،1995.

28–الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الاسلام ،منشورات جامعة قار يونس ، ليبيا ، 1998.

29–الفيلالي عبدالكريم : التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير،ج3،شركة ناس للطباعة ،مصر ،2006.

30–قشتيليو محمد : حياة المورسكيين الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها ، مطابع الشويخ ،المغرب،1998.

31–العلوي حسن حافظ : سجلماسة واقليمها في القرن الثامن عشر الهجري الرابع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ،1997.

32–الغربي محمد : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ،الكويت ،1982.

33– غيت مطير سعد :الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر الحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر ، دار المدار الاسلامي ، ليبيا ،2005.

34–كريم عبد الكريم: المغرب في عهد الدولة السعدية ، منشورات المؤرخين المغاربة ، المغرب ،2006.

35– الكانوني العبدي محمد ابن احمد : أسفي وما أل اليها قديما وحديثا ،د، د ، د،ب ،د، ت .

36–المريني عبد الحق : الجيش المغربي عبر التاريخ ، مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب، 1997.

37–موسى فيصل محمد : تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ن منشورات الجامعة المفتوحة ، د،ب ،1997.

38–موسى عزالدين عمر: دراسات اسلامية غرب افريقيا ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 2003

39–يوليم دنيس : الحضارات الافريقية ،تر: علي شاهين ،منشورات درا مكتبة الحياة ،لبنان ،1984.

المراجع باللغة الفرنسية :

1-D-T NIANE: HISTOIRE GENERALE DE L AFRIQUE, UNESCO, FRANCE,1987.

2-ISMAEL DIADIE HAIDARA : JAWDAR PASHA ET LA CONQUETE SAADIENNE DU SONGAY,ANNGAH AL-JADIDA ,MAROC,1996.

المراجع باللغة الانجليزية :

[1] -Basil Davidson : a history of West africa 1000-1800,Longman Nigeria, 1965.

الدراسات السابقة:

1–أولاد العيد أحلام : الأوضاع السياسية في المغرب الاقصى بعد وفاة احمد المنصور (1012–1069هـ/1603–1659م)، مذكرة ماستر تاريخ حديث ومعاصر ،اشراف : صالح بوسليم ،جامعة غرداية ،غرداية ،2012،2013.

2-الفاجالو محمد: الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال فترة (842-1000هـ/1464-1591م)، رسالة ماجيستير في الحضارة والنظم الاسلامية ،اشراف :ابراهيم نجيب عوض ،جامعة أم القرى، السعودية ،1993.

3-بن قومار جلول: معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب اوروبا (986-1012هـ/1578-1603م) ، مذكرة ماجيستير تاريخ حديث ومعاصر، اشراف : عمار بن خروف، المركز الجامعي غرداية ، غرداية ،2010-2011.

4-الغربي الحواس :السيادة السعدية في البلاد السودانية (1591-1660م)، مذكرة ماجيستير تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، اشراف : صابر شريف خالد، جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر ،2008،2009.

5-مرزقلال لعماري: الحياة الثقافية في مملكة سنغاي على عهد الاسكيين (899-1000هـ/1493-1591م) ،مذكرة ماجيستير في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، اشراف : محمد حوتية ،جامعة الجزائر ،الجزائر ،2009،2010.

ندوات وحاضرات:

1-بهيجة الشاذلي :العلاقات المغربية حصيلة وافاق ،سلسلة ندوات ومناظرات ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ،المغرب ،2012

2-زروق محمد : مسألة الأندلس في عملية فتح السودان خلال عصر أحمد المنصور الذهبي ،ندوة المغرب وافريقيا جنوب الصحراء في بداية العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الافريقية ،المغرب،1992

3- : ملاحظات حول الوجود المغربي بالسودان خلال فترة أحمد منصور السعدي(1578-1603م) ،أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، جامعة حسن الثاني، المغرب،1989.

ندوات باللغة الفرنسية:

1-Thiron Mouctar bah: la bataille de tondibi,colloque international : le Maroc et l afrique subsahaienne aux de butus des temps modernes , publications de l instut africainoes,maroc,1992,p .

المقالات باللغة العربية :

1-أحمد الجمال أحمد محمد اسماعيل :تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء السودان الغربي ، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية ،مصر ، حولية8،د،ت.

2-حوتية محمد: مخطوطات اقليم توات ، حولية المؤرخ ،اتحاد المؤرخين الجزائريين ، الجزائر ، عدد2002،1.

3-فاضل الله محمد قمر الدين : لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الاسلامية (1591-1468م)،مجلة الدعوة الاسلامية ، ليبيا ،العدد1987،4.

4-بن قايد عمر: أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب خلال القرن 11هـ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،غرداية ، العدد2012،17.

5-عبد الله سيد حسين :مملكة سنغاي ،مجلة قراءات افريقية، المنتدى الاسلامي ، بريطانيا ،العدد2012،13.

6-عمار بن خروف : مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال القرن 10هـ/16م ،حولية المؤرخ ،اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر ،العدد2002،1.

7-عماري الحسين : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال وصف افريقيا ،مجلة المؤرخ ، جمعية ليون الافريقي للتنمية والتقارب الثقافي ، المغرب ،العدد2010،7.

8-عيسى عبد الله : أثر الاسلام على المجتمع الافريقي خلال القرن 10هـ/16م مملكة سنغاي نموذجا ،مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث والدراسات ، د،ب، العدد36،2015.

9-غيث مطير سعد : علاقة العرش بالفقهاء والعلماء في السودان الغربي منذ عهد سني علي حتى نهاية الحكم السعدي (869-1070هـ/1464-1660م)، مجلة الجامعة المغربية ، مؤسسة الملك عبد العزيز ال سعود، المغرب ،العدد2013،13.

الموسوعات والمعاجم :

1-سعيدوني ناصر الدين واخرون :معجم المشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر ،الجزائر،1995.

2-صابان سهيل :المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ،2000.

3-غنيمي عبد الفتاح غنيمي : موسوعة المغرب العربي ،ج6،مكتبة مدبولي ، مصر،1994.